جامعـة
المنصــورة
كليـــة الآداب

القلبُ مرفوعاً في الجملةِ الفعليةِ في القرآنِ الكريمِ
دراسة نحوية دلالية

إعـــداد

الدكتورة / زينب هاشم جمعة أبو زيد

أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب

جامعة الملك عبد العزيز – المملكه العربية السعودية

مجـــلة كلـــــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة

العدد الثالث و الخمسون – أغسطس ٢٠١٣

القلبُ مرفوعًا في الجملةِ الفعليةِ في القرآنِ الكريمِ

دراسة نحوية دلالية

د. زينب هاشم جمعة أبو زيد

مقدمـــــة:

الحمـدُ للهِ القائـلِ فـي مُحْكَـمِ التَّنْزِيـلِ: ﴿ ... أَلَا بِـذِكْرِ اللَّـهِ **تَطْمَـئِنُّ** الْقُلُـوبُ ﴾ **[الرعد:٢٨]** ، والصلاةُ والسلامُ عَلَى مَنْ كانَ أكثرُ دُعَائِهِ: "**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** " محمد بن عبد الله– ﷺ–، وبَعْدُ:

فإنَّ هذا البحثَ يتناولُ القلبِ مرفوعًا في الجملة الفعلية في القرآنِ الكريمِ دراسةً نحويةً دلاليةً ، وتناول ما بها مِنْ تراكيب القلبِ التي وَرَدَتْ مرفوعةً دونَ فَصْلِهَا عَنْ سِيَاقِ الآياتِ التي وَرَدَتْ فيها ، وإنَّمَا مِنْ خِلالِ الآياتِ التي تتحدَّثُ عَنِ القلبِ ، والتي جاءَتْ مَنثورةً كالدُّرِّ مُعَبِّرَةً عَنْ صِفَاتِ القلبِ ، ورَبْط هذه التراكيبِ بسوابقِها ولواحقِها في الآيةِ أو الآياتِ التي نُظِمَتْ فيها ، وبما له عَلاقة بها في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نبيِّهِ – ﷺ – .

وهي دراسةٌ نحويةٌ دلاليةٌ تطبيقيةٌ تجَعْلُ معاني "النَّظْم" معاني النحو لا تُفْصَل عنه ؛ لأنها نتجتْ عنه مستفيدة من" الجرجاني" الذي تَنَاوَلَ"النَّظْم" والمعاني الموجودة به كالتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير، والإظهار والإضمار ، والعدول عن اسم إلى فعل ، أو عن صيغة إلى أُخرى ، وغَيْر هذا من سائر أحوال الكلمة إذا أُلِّفَتْ مع غيرها ؛ لِتُفْهَمَ ، على أنها " معاني النحو " لم يفصلها عن عِلْم النحو ، وعَبَّرَ عن ذلك في أكثرَ مِنْ موضعٍ في دلائِلِهِ ، نحو قوله : " مدار أَمْرِ النَّظْمِ على معاني

النحو" [١]وقوله:" ليسَ«النَّظْمُ» شيئًا إلا تَوَخِّي معاني النَّحو وأحكامِه ووجُوهِه وفروقِه فيما بين الكَلِمِ".[٢]

كما تُحَدِّدُ الغايةَ مِنَ النحوِ فيها وهي أنْ يُبَيِّنَ للمتكلِّمِ طريقةَ نَظْمِ الكلامِ وتأليفه مِنْ حيثُ اختيارِ المفرداتِ والتراكيبِ ؛ فيؤدي ذلك إلى الوصول إلى غايةٍ أحسبها مِنْ أعظم غايات النحو ، وهي معرفةُ أسرارِ التركيبِ القرآنيِّ ، والتمييز بينَ التراكيبِ المُعَبِّرةِ عن معنى صفة واحدة مع وجود تغاير تركيبي فيما بينها، كالتعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى :- ﴿**قَسَتْ** قُلُوبُهُمْ﴾ **[الأنعام:٤٣]** ، وباسم الفاعل في قوله تعالى :- ﴿**وَالْقَاسِيَةِ** قُلُوبُهُمْ ﴾ **[الحج:٥٣]** ، أو بالعدول عن التعبير بالمصدر الصريح إلى التعبير بالمصدر المؤول في قوله تعالى :- ﴿**أَنْ تَخْشَعَ** قُلُوبُهُمْ﴾**[الحديد:١٦]**، أو بتقديمٍ في موضعٍ كقوله تعالى :- ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ** قُلُوبُكُمْ﴾ **[الأنفال:١٠]** ، وتأخير المتقدِّمِ في موضعٍ آخر كما في قوله تعالى :- ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ** قُلُوبُكُمْ **بِهِ** ﴾ .**[آل عمران:١٢٦]**

ومستفيدة – أيضا– من إشارات سيبويه المتفرقة لمعاني النحو كما في حديثه عن تقديم المفعول على الفاعل في قولك: ضَرَبَ زيدًا عبدُ اللهِ. بوصفه التقديم والتأخير بأنه عربيٌّ كثيرٌ وقوله:" **كأنَّهم [إنَّما] يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَانُهُ أَهَمُّ لَهُمْ، وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى، وإنْ كَانَا جميعًا يُهِمَّانِهم ويَعْنِيانِهم**". [١]

---

[١]الجرجاني،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، (ت٤٧١ هـ أو ٤٧٤هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، قرأه وعلَّق عليه ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) ، ٨٧.

[٢]المرجع السابق ، ٣٧٠.

(١) سيبويه،أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنْبر(ت:١٨٠هـ)، الكتاب كتاب سيبويه بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة(١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م) ، جـ١/ ٣٤.

ومحاولة معرفة خصائص هذه التراكيب القرآنية بالتدبُّرِ فيها ، واكتشاف غيض من فيض أسرارها.

وآثرتُ تسميتَهَا بالقلب مرفوعًا في الجملة الفعلية ؛ لأنها اختصت التراكيب التي وَرَدَ فيها القلبُ مرفوعًا في الجملة الفعلية دون الاسمية بالدراسة ، ودون المنصوبات والمجرورات التي أختص كُلًّا منها بدراسة مستقلة؛ حتى تكتملَ دراسةُ القلبِ في القرآنِ الكريمِ دراسة نحوية دلالية.

خطتي فى البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمةٍ وتمهيدٍ وفصلين وخاتمةٍ :

أما المقدمة فقد عَرَضْتُ فيها المقصودَ بـ" القلب مرفوعا" في الدراسة ، وطريقةَ تصنيفِ تراكيبِهَا وطريقةَ دراستها في الآياتِ التي وَرَدَتْ فيها ، كما ذَكَرْتُ فيها خُطتي ، ومنهجي في هذه الدراسة .

وأما التمهيدُ فقد عَرَضْتُ فيه تعريفَ القلبِ لغةً واصطلاحًا ، وموقفَ الدراسةِ مِنْ صفاتِ القلبِ في التراكيبِ القرآنيةِ ، وأهميةَ هذا البحثِ.

وأما الفصلان فقد وضعْتُ عنوانًا لكلِّ فَصْلٍ مُعَبِّرًا عن مضمونه في آياته؛جاء الفصل الأول بعنوان:- " **القلب مرفوعا في الجملة الفعلية**"، وفيه تصنيف الآيات التي وَرَدَ فيها القلبُ مرفوعًا في تركيبٍ فِعْلِي إلى أنماطٍ ، وذِكْرُ صفة القلب التي أُفْرِدَتْ في موضعٍ واحدٍ أو الصفة التي تكررت للقلب في أكثر من موضع، وتحليل هذه المواضع مندرجة تحت نمطها الذي وَرَدَتْ فيه.

وجاء الفصل الثاني بعنوان:- "**المشتقات العاملة عمل الفعل في القلب مرفوعًا**"

تناولْتُ فيه ما وَرَدَ من المشتقات العاملة عمل الفعل التي جاء(القلب) معمولا لها مرفوعًا، وقُمْتُ بتصنيفها ، وتحليلها **كقوله تعالى** :- ﴿ **لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ** ﴾ ، **وقوله تعالى** :- ﴿**الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾ ، **وقوله تعالى** :- ﴿**والمُؤَلَّفَة قُلُوبُهُمْ** ﴾ وحاولْتُ معرفةَ سِرِّ تعبيرِ التركيبِ القرآنيِّ عن صفةٍ ما بالفعلِ الماضي في موضعٍ﴿**قَسَت**﴾، وبالمشتقِ في موضعٍ آخر﴿**الْقَاسِيَةِ** ﴾.

وأما الخاتمةُ فقد عَرَضْتُ فيها نتائجَ هذه الدراسة ، وأتبعتُهَا قائمةَ المصادرِ والمراجعِ التي أَفَدْتُ منها، وقد اعتمدْتُ في تحليل تراكيب القلب المرفوعة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على الملاحظة والاستقراء ثم التصنيف والتحليل ثُمَّ التوصيف والخروج بالنتائج.

واللهَ أسألُ أنْ ينفعَ به ، ويكتبَ له القبولَ ، ويجعلَهُ خالصًا لوجهه الكريم ، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيلُ.

التمهيد:

القلب لغة: مِنْ قَلَبَ الشيءَ أي صَرَفَهُ وحوَّلَهُ عن وَجْهِهِ قال الزبيدي : "(قَلَبَه ، يَقْلِبُهُ) ، قَلْبًا ، مِنْ بابِ ضَرَبَ : حَوَّلَهُ عن وَجْهِهِ ... وقَلَبَهُ عن وَجْهِهِ : صَرفَهُ ... وقَلَبَ الثَّوْبَ ، والحَدِيثَ ، وكُلَّ شَيْءٍ : حَوَّلَهُ" (١) ، "وقال بعضُهُم : سُمّيَ القَلْبُ قَلبًا ؛ لِتَقَلُّبِهِ ، وأَنْشَدَ :

مَا سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإنسانِ أَطْوارا".(٢)

القلب اصطلاحًا :

---

(١) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الحميد قطامش، ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) الكويت، ٦٨/٤.

(٢) المرجع السابق ، ٧٠/٤.

يُراد بالقلبُ اصطلاحًا ما في جوفِ الإنسانِ، ولِكُلِّ رَجُلٍ قَلْبٌ واحدٌ مِصْدَاقًا لقوله تعالى:-﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ**﴾ **[الأحزاب:٤]**، والقلب جسم صَنَوبريّ الشكل مُودَعٌ في الجانب الأيسر من الصدر.(٣)

قال تعالى:- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] ، وأوضحَ الرسولُ- ﷺ - أنَّ القلبَ قطعةُ لَحْمٍ محسوسة من الجسم فقال- ﷺ - :"**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**"،(٤) أي: قِطْعَة لَحْمٍ قَدْرَ ما يُمْضَغُ.

ومن ثَمَّ أرى أنه إذا أُطْلِق لفظُ القلبِ ووُصِفَ بصِفَةٍ في القرآن الكريم فإنما يُرادُ به ما في الصدر لا يُصْرَفُ إلى معنى آخر إلا إذا وجِدَتْ قرينة تمنعُ إرادةَ المعنى الأصلي ؛ حتى لا نبطلَ حقائقَ الألفاظِ .

موقف الدراسة من صفات القلب في التراكيب القرآنية:

الأصل في إسناد هذه الأفعال إلى فاعلها(القلب) الذي اتصف بها أن يكون إسنادًا حقيقيًّا ، لا يؤوَّل فيه القلب بمعنى العقل أو غيره أو بجعل الإسناد مجازيًّا إلا إذا استحالَ إجراءُ الإسنادِ على ظاهرِهِ أو وجِدَتْ قرينةٌ دالةٌ علَى صَرْفِ الإسنادِ عن ظاهرِهِ ، وإذا تساوى في الإسناد إمكانية جعله إسنادًا حقيقيًّا أو مجازيًّا ؛ فإنني أميل

---

(٣) ينظر، الجرجاني ، العلامة على بن محمد الشريف الجرجاني(ت: ٨١٦هـ) ، التعريفات ، لبنان – بيروت (١٩٨٥م) ،٨٧أ.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه ، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ (١٤٢٢هـ) ، كتاب الإيمان بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ، حديث رقم ٢٠/١،٥٢.

إلى كونه إسنادًا حقيقيًّا ، فليس معنى وجود المجاز في القرآن الكريم القول به مطلقًا بلا دليل فالضابط أنَّ اللفظَ إذا وجِدَ دليلٌ صحيحٌ على أنه منقولٌ عن وضْعِهِ في اللغة إلى معنى آخر وجب العمل بالمعنى المنقول إليه اللفظ وإلا فالأصل في الكلام الحقيقة . والتفريق بين استعمال القلب في التراكيب القرآنية حقيقة أو مجاز يقَع بأمرين:

أحدهما:- التَّنصيص بمعنى قول أئمة اللغة هذا حقيقةٌ ، أو هذا مجازٌ.

والآخر:- الاستدلال بالعلامات ، فمِنْ علاماتِ الحقيقةِ تبادرُ الذِّهنِ إلى فَهْمِ المعنى ، والعراءُ عن القَرينة ، ومِنْ علاماتِ المجاز إطلاقُ اللفظِ على ما يستحيلُ تَعلُّقُه به.

فالجرجاني مع قوله بالمجاز يحملُ على مَنْ يجعلُ (القلب) بمعنى (العقل) في **قوله تعالى:- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾** بقوله:-" فأما أنْ يُؤخذ به على هذا الظاهر حتى كأن(القلب) اسم (للعقل) كما يتوهمه الحَشْو ومَنْ لا يعرف مخارجَ الكلام ، فمُحَالٌ باطلٌ ؛ لأنه يؤدي إلى إبطالِ الغرضِ مِنَ الآيةِ ، وإلى تحريفِ الكلامِ عن صورتِهِ ، وإزالةِ المعنَى عن جِهَتِهِ".(١)

وترجع أهمية هذا البحث إلى :

١- جَمْعُ الآيات التي ورد فيها لفظ (القلب) مرفوعًا في الجملة الفعلية في القرآن الكريم ، ودراستها دراسة نحوية دلالية.

٢- تناول توجيهات علماء اللغة والتفسير والدراسات القرآنية وآرائهم في إسناد الصفات إلى القلب في التراكيب المرفوعة دون تعصب لها بالقبول أو الرفض ، وإنما

---

(١) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٣٠٤، ٣٠٥.

بإعمال النظر والفكر والتدبر فيها ؛ لأنَّ بعضَ توجيهاتهم لهذه التراكيب القرآنية لا يخلو مِنْ نظر؛ ومِنْ ثَمَّ البناء عليها ، والإضافة إليها.

٣- لا تفصل الدراسة تراكيب القلب المرفوعة عن سياقها بل تنظر في سوابقها ولواحقها ؛ كما تستعين بالسياق غير اللغوي ؛ لفَهْمِ هذه التراكيب.

٤- دراسة تراكيب القلب كاملةً في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية تطبيقية من خلال رَبْطِ معاني "النَّظْم" بالنحو فهي معاني للنحو لا تُفْصَل عنه.

٥- إماطة اللثام عن نوعٍ من أنواع الإعجاز العِلْمِيِّ في القرآن الكريم بإسناد أفعالٍ إلى القلب إسنادًا حقيقيًّا سَبَقَ القرآنُ العِلْمَ في إسنادها إليه ، ظَنَّ كثيرٌ مِنَ العلماء أنَّهَا من قبيل المجاز ، وتأوَّلُوها بما يُخْرِجُهَا عن حقيقتِهَا **كإسناد﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إلى﴿قُلُوبٌ﴾ ، وإسناد﴿ تَعْمَى﴾ إلى﴿الْقُلُوبُ﴾ في قوله تعالى:- ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ، وقوله:- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦]** فإذا بالعِلْمِ الحديثِ يُثْبِتُ حقيقةَ ما أَخْبَرَ به القرآنُ الحكيمُ ، ومِنْ ثَمَّ وَجَبَ علينا ألا ننقلَ الألفاظَ مِنَ الحقيقةِ إلى المجازِ إلا إذا وجِدَتْ قرينةٌ جَلِيَّةٌ دَالَّةٌ علَى ذلك.

٦- محاولة معرفة أسرار نَظْمِ التركيبِ القرآنيَّ مِنْ حيثُ اختيار المفردات، وتنويع الأساليب، ومحاولة معرفة خصائصه، من خلال دراسة النصِّ القرآنيِّ .

الفصل الأول

القلب مرفوعًا في الجملة الفعلية:

جَاءَ القلبُ مرفوعًا في الجملةِ الفعليةِ في(واحد وثلاثين) موضعًا تَمَّ تصنيفُها إلى الأنماطِ الآتية:

النمط الأول:- [فعل ماض لازم+ فاعل مركب إضافي]:

ذَكَرَ سيبويه الفعلَ اللازمَ في باب الفاعل الذي لم يتعدَّه فعلُهُ إلى مفعولٍ ، ومثَّلَ له بقولك: ذَهَبَ زَيْدٌ وجَلَسَ عَمْروٌ. وعلل لذلك بقوله:" لأَنَّكَ لم تَشْغَلِ الْفِعْلَ بِغَيْرِهِ ، وفَرَّغْتَهُ لَهُ ، كَمَا فَعَلْتَ ذلكَ بالفاعلِ".(١)

فسيبويه ذَكَرَ إشارةً دلاليةً لإتيانِ الفعلِ لازمًا مفادها أنَّ إثباتِ الفعلِ للفاعلِ يجعلُ الأذهانَ تتَّجِهُ إليه ، وتنحصرُ الأفكارُ فيه دونَ أَنْ يشغلَ الفعلَ بغير فاعلِهِ ، وفيما يلي تحليل المواضعِ المعبِّرةِ عن هذا النمط :

وَرَدَ هذا النمط مُتضمنًا صفة (القسوة) في (ثلاثةِ) مواضعَ:

أولها:- قوله تعالى :- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... ﴾ [البقرة:٧٤]

قالَ الزبيديُّ:" قَسَا قلبُهُ:(صَلُبَ وغَلُظَ) ، فهو قَاسٍ، **وقوله تعالى :- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾** أي: غَلُظَتْ ويَبِسَتْ ، وعَسَتْ ، فتأويل القسوةِ في القلبِ: ذَهَابُ اللينِ والرَّحمةِ والخُشُوعِ منهُ ، وأَصْلُ القسوةِ: الصلابةُ مِن كُلِّ شيءٍ... ويقال:(الذَّنبُ مَقْسَاةٌ للقلبِ).أي: يُقْسيه... وقد أقساه الذَّنبُ أي: جعلَهُ قَاسِيًا".(٢)

---

(١) سيبويه ، الكتاب ، جـ١/ ٣٣.

(٢) الزبيدي، تاج العروس ، ، باب الواو(قسو) ، جـ٣٩، ٢٩٨.

وجَعَلَ سلطانُ العلماءِ القسوةَ مِنَ المجازِ فقال:" القسوةُ حقيقتُهَا الصلابةُ والشدَّةُ ، والصَّلابَةُ والشدةُ مانعانِ مِنَ التأتِّي لما يُرَادُ مِنْ محلِهما ، فتجوّزَ بذلك عن القلوبِ التي لا تتأتَّى للحقِّ ولا تَنْقَادُ إليهِ".(١)

جاءَتِ الجملةُ الفعليةُ﴿ **قَسَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ معطوفةً بحرفِ العطفِ ﴿**ثُمَّ**﴾ الذي عطفَهَا على جملةِ ﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ** ﴾ وأفادَ الترتيبَ والتراخِيَ أي: الترتيب بمُهْلَةٍ فالثاني يَحْدُثُ بَعْدَ الأولِ بمُهْلَةٍ وهذا مذهبُ جمهورِ النُّحَاةِ ، وما أَوْهَمَ خِلافَ ذلكَ تأوَّلُوهُ(٢) ؛ فحصولُ قسوةِ القلبِ حَدَثَتْ بَعْدَ إراءةِ الآياتِ بفترةٍ زمنيةٍ، وعُبِّرَ بالفعلِ الماضِي ؛ للتحقُّقِ والثبوتِ ، وجَاءَ الفعلُ اللازمُ ﴿**قَسَا**﴾ ماضيًا ثلاثيًا مُجَرَّدًا على وزنِ (فَعَلَ) مبنيًّا على الفتح المقدّرِ على الألف المحذوفة ؛ للتعذُّرِ، واتصلَتْ بالفعلِ﴿**تاء**﴾التأنيث الساكنة فحذفت ألفه الساكنة ؛ منعًا لالتقاءِ الساكنينِ ، وزنه (فَعَتْ) ، وقد أُسْنِدَ الفعلُ ﴿**قَسَتْ**﴾إلى فاعلِهِ ﴿**قُلُوبُكُمْ**﴾ فأفادَ اتصافَ قلوبِهم بالقسوةِ المانعةِ مِنَ التأثُّرِ بالعِظَاتِ والآياتِ ، وجَاءَ الفاعلُ مُرَكَّبًا إضافيًّا أُضيفَ فيه ضميرُ المخاطَبينَ ﴿**كُمْ**﴾ العائدُ إلى قومِ موسَى- عليه السلام- إلى المضافِ﴿**قلوب**﴾ إضافةً مَحْضَةً أفادَتِ التعريفَ(٣)

---

(١) العز بن عبد السلام ، الشيخ الإمام سلطان العلماء عِز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدِّمشقي الشافعيّ (ت:٦٦٠هـ)، مجاز القرآن ، تحقيق د/ مصطفى محمد حسين الذهبي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن سلسلة المخطوطات المنشورة: رقم ٦،(١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ، ١٧٠، ١٧١.

(٢) ينظر، ابن أم قاسم ، الحسن بن قاسم المرادي(ت:٧٤٩هـ)،الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ٤٢٦.

(٣) ابن عصفور، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت:٦٦٩هـ)، المُقَرَّب تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبُوري ،ط١ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ، باب الإضافة، جـ١/ ٢٠٩.

بأصحابِ هذهِ القلوبِ، و﴿**مِن بَعْدِ**﴾ جارّ ومجرور متعلّق بالفعل﴿**قَسَتْ**﴾ ، و﴿**ذا**﴾ اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه و﴿**اللام**﴾ للبُعْدِ و﴿ **الكاف**﴾ للخطاب، واسم الإشارة ﴿ **ذَلِكَ**﴾ يشيرُ إلى الآياتِ السابقةِ كإحياءِ الموتَى، وقوله: ﴿**مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾ أفادَ زيادةَ التعجبِ مِنْ قَسْوَةِ قلوبِهم بَعْدَ ما شاهدُوهُ مِنَ الآياتِ والمعجزاتِ التي أَرَاهُمُ اللهُ– ﷻ– إياها. ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ وَرَدَ التعبيرُ بالجملةِ الاسميةِ مَعَ كَوْنِ مَا سَبَقَ جملة فعلية ؛ للدلالةِ علَى استمرارِ قَساوةِ قلوبِهِمْ، وثبوتِها علَى هذهِ القسوةِ ، وفيها الضميرُ﴿**هِيَ**﴾ ضميرٌ مبنِيٌّ على الفتحِ في محلِ رَفْعِ مبتدأ يعودُ إلى﴿**قلوب**﴾، و﴿ **كَالْحِجَارَةِ** ﴾ الكاف حرف تشبيه ، و﴿**الْحِجَارَةِ**﴾ اسم مجرور ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ﴿**هِيَ**﴾، **وقوله:** ﴿**أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ ترقِّي في الذَّمِّ فحرف العطف﴿**أَوْ**﴾ أفادَ التخييرَ ، فأنتَ مُخَيَّرٌ في تشبيه قلوبِهم في القسوةِ بالحجارةِ في عدم قبولِ التحولِ، أو جَعْل هذه القلوب أشد قسوة من الحجارة التي قد يعتريها التأثرُ والتحولُ عن طبيعتِها بتفجّرِ الأنهارِ منها أو بالتشققِ وخروجِ الماءِ منها أو بهبوطِها مِنْ خشيةِ اللهِ ، في حين أنَّ قلوبَهم– مع أنَّ مِنْ صفةِ القلوبِ سرعةَ التقلبِ والتحولِ– لم يَحْدُثْ فيها تأثرٌ أو تَغَيُّرٌ في طبيعتها بحيثُ يصدر منها نَفْعٌ ، وجملة ﴿ **أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ عُطِفَتْ على جملة ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ** ﴾ وفيها المبتدأ محذوف تقديره:(هي) يعود إلى القلوب، وأُسندَ إليه خبره اسم التفضيل﴿**أَشَدُّ**﴾ الذي جَاءَ بعده التمييز المنصوب﴿**قَسْوَةً**﴾؛ فأزالَ إبهامَ الشدةِ. والمشبه به في القسوة ﴿**الْحِجَارَةِ** ﴾ جَاءَ اسمًا ظاهرًا مرتين في حين أنَّ المشبه ﴿**قُلُوبُكُمْ**﴾ عبّر عنه بالاسمِ الظاهرِ مرةً واحدةً تَبِعَهُ التعبيرُ عنه بالضمير المنفصل ﴿**هِيَ**﴾، ثم الضمير المستتر في ﴿ **أَشَدُّ** ﴾ وذلك للترقي في الذم لهم.

وثانيها:– قوله تعالى :– ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:٤٣]

تَحَدَّثَتِ الآيةُ السابقةُ عَنْ قسوةِ قلوبِ بَنِي إسرائيلَ قومُ موسَى– عليه السلام – ، وتحدثَتْ هذه الآيةُ عن قسوةِ قلوبِ الأممِ السابقةِ الذين أَرْسَلَ اللهُ – ﷻ– إليهم رُسُلًا قبل رسولِ اللهِ – ﷺ – ، ويَدْخُلُ فيهم بنو إسرائيل ، وفي جملة﴿**وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ الواو حالية ، و﴿**لَكِنْ**﴾ مخففة من الثقيلة مهملة ، فهي لمجرد الاستدراك، قال المالقي:"فإذا خُفِّفَتْ بَطلَ عَمَلُهَا. ولم يُسْمَعْ لَهَا عَمَلٌ مَعَ التخفيفِ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّحْوِيينَ. وعِلَّتُهُمْ في ذلكَ عدم اختصاصِهَا بِوَاحِدٍ مِنَ الأسماءِ والأفعالِ،[ولا يعملُ] إلا ما يختصُّ، فلمَّا كنتَ تقول: ما قَامَ زَيْدٌ لكنْ عمروٌ لم يَقُمْ، وما يَقُومُ زيدٌ لكنْ يقومُ عَمْرٌو، فتصلُح مع كل واحدٍ منها عُلِمَ أنها لا تعملُ شيئًا".[1]و﴿**قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ جملة فعلية؛ فعل ماض لازم وفاعل، وجاءَ الفاعلُ مُرَكَّبًا إضافيًّا أُضيفَ فيه ضميرُ الغائبينَ ﴿**هُمْ**﴾ العائد إلى قلوبِ ظالِمِي الأممِ السابقةِ إلى المضافِ ﴿**قُلُوبُ**﴾ إضافةً أفادَتِ التعريفَ بأصحابِ هذهِ القلوبِ، وجاءَتِ جملةُ ﴿**قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ بَعْدَ جُملةِ﴿**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾ فأفادَتْ نَفْيَ التضرعِ عنهم، وجَاءَ التعبيرُ بـ﴿**لَوْلَا**﴾ ؛ فأفادَ أَنَّهُ لم يكنْ لهم عُذْرٌ في تَرْكِ التضرعِ إلا عنادهم، وقسوة قلوبهم، وتزيين الشيطان لهم.[2]

وثالثها:– قوله تعالى :– ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[الحديد:١٦]

---

(١) المالَقي،أحمد بن عبد النور المالَقيِّ(ت:٧٠٢هـ) ، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أ.د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم – دمشق ، ط٣(١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) ، ٣٤٧.

(٢) ينظر ، الزمخشري، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧–٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوَّض ، مكتبة العبيكان ط١(١٤١٨هـ– ١٩٩٨م)، جـ٢ / ٣٤٦.

جَـاءَتْ جملـةُ ﴿ **فقَسَـتْ قُلُـوبُهُمْ**﴾ معطوفـةً بـحرف العطـف﴿**الفـاء**﴾علـى جملـة ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ** ﴾ التي لا محل لها من الإعراب ؛ فأَخَذَتْ حُكْمَهَا، وأفادَتِ﴿**الفاءُ**﴾ الترتيبَ والتعقيبَ ؛ ودلَّتْ علَى أنَّها تعقبُها حَدَثيًّا وزمنيًّا، وهذه الآية أبانَتِ أنَّ سببَ قسوةِ قلوبِهم طولُ الزمنِ بينهم وبين أنبيائهم.

ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ (الصغو) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :- ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ... ﴾**[التحريم:٤]**

قال ابن قتيبة:" ﴿ **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ أي عَدَلَتْ ومالَتْ عَنِ الحَقِّ".(١)

وجَعَلَ سلطانُ العلماءِ إسنادَ الفعلِ ﴿ **صَغَتْ** ﴾ إلى فاعله ﴿ **قُلُوبُكُمَا**﴾ مجازًا عن (الميل)؛ وذَكَرَهُ مِنْ مجاز تشبيه المعاني بالمعاني فقال : " قوله:﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ لَمَّا كانَ المائلُ عن طريقِ الصوابِ تاركًا لها ، شبَّه تَرْكَ القلوبِ الصوابَ إلى الخطأ بمَنْ كانَ على طريقٍ تُبَلِّغُهُ إلى مقصدِهِ فمَالَ عنه إلى طريقٍ تُهْلِكُهُ ، ولا تُبَلِّغُهُ المقصدَ ".(٢)

وقال الشريف الرضي:" قوله سبحانه:﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ وهذه استعارة ومعنى ﴿**صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ أي مَالَتْ وانحرفَتْ قال النضر بن شميل يقال: قد صَغَوتُ إليه وصَغَيْتُ وأَصْغَيْتُ إليه وهو الكلام ، ولم تَمِلْ قلوبُهما على الحقيقة وإنما اعتقدَ قلباهما خِلافَ الاستقامةِ في طاعة النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– فَحَسُنَ أنْ يوصفا بميلِ القلبين مِنْ هذا الوجه، وذلك كقول القائل: مَالَ إلى فلانٍ قلبي إذا أحبَّه،وقد نَفَرَ عن فلانٍ قلبي إذا أَبْغَضَهُ، والقلب في الأمرين جميعًا بحاله لم يخرج

---

(١) ابن قتيبة ، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي(ت:٢٧٦هـ) ، تفسير غريب القرآن بتحقيق السيد أحمد صقر،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (١٣٩٨هـ) ، ٤٧٢.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن، ١٦٤.

عن نياطه، وإنما قال سبحانه:﴿قُلُوبُكُمَا﴾ والخطاب مع امرأتين ؛ لأنَّ كلَّ شيئين تجوز العبارة عنهما بلفظ الجمع في لغة العرب".(٣)

وجاءت جملة﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لا محل لها من الإعراب تعليلية للشرط،

والتقدير: إنْ تتوبا إلى الله؛لأنكما قد ملتما مع نفسيكما يقبل منكما التوبة.(١)

وفيها ﴿الفاء﴾ تعليلية ، و﴿قَدْ﴾" من الحروف الهوامل ، وهي مختصة بالفعل ، وإنما لم تعمل فيه ؛ لأنها صارت كأحد أجزائه ... وإذا دخلت على الماضي قَرَّبَتْهُ من الحال"،(٢) وهي حرف تحقيق؛ للتأكيد على ميل قلوبهما إلى التظاهر

على رسول الله- ﷺ - و﴿صَغَتْ﴾ فعل ماض لازم على وزن(فَعَتْ) مبني على الفتح المقدّر على الألف المحذوفة ؛ مَنْعًا لالتقاء الساكنين أُسْنِدَ إلى فاعله ﴿قُلُوبُكُمَا﴾الذي اتصفَ بالفعل ، وقد أَتَتْ هذه الجملة الفعلية﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ في سياق أسلوب الشرط﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ المحذوف جوابه ، وتقديره : يتب عليكما أو يقبل منكما التوبة.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفة (الكسب) في موضعٍ واحدٍ هو:

---

(٣) الشريف الرضي، محمد بن حسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم (ت :٤٠٤هـ) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق:د.علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ، ٣٢١.

(١) ينظر، صافي محمود بن عبد الرحيم (ت: ١٣٧٦هـ) ، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان دمشق- بيروت ، (١٤١٨هـ)، جـ ٢٨/ ٢٩٧.

(٢) الرُّمَانيُّ،أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَاني النحْوي(ت:٣٨٤هـ)، كتاب معاني الحروف ، حققه د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق- جدة ،المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية(١٤٠٤هـ - ١٩٨١م)،٩٨.

قوله تعالى :- ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٥]

قال الزبيدي:"(كسَبَ) يجيء لازمًا ومتعدِّيًا لواحدٍ، ويأتي بمعنى أَصَابَ، وأصل معنى(كَسَبَهُ) جَمَعَهُ... ومن المجاز: كَسَبَ خيرًا، واكتسَبَ شرًّا"،(٣)وذَكَرَ الأصفهاني أنَّ الكسبَ في القرآن وَرَدَ في فِعْلِ الحسناتِ والسيئاتِ(٤) ، وأعطَى

أمثلة قرآنية للنوعين فمما استُعْمِلَ في الصالحات **قوله تعالى :- ﴿ أو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام:١٥٨]** ، ومما يُستعملُ في السيئاتِ **قوله تعالى :- ﴿ وَلَو يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾. [فاطر:٤٥]**

وقد استُعملَ الفعل﴿**كَسَبَ**﴾ لازمًا في فِعْل السيئاتِ،و﴿**الواو**﴾ حرف عَطْفٍ عَطَفَ جملة ﴿**يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قلوبُكم** ﴾ على الجملة الاستئنافيّة التي لا محل لها من الإعراب: ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾ ولذا فلا محل لها من الإعراب، و﴿**لَكِنْ**﴾ حرف استدراك مخفَّف بعد نَفْي لا عمل له ، و﴿ **الباء** ﴾ حرف جرّ أفاد السببية(١)؛ فالمؤاخذة سببها ما كسبته القلوب مِنْ تعمُّدِ الكذب في الأيمان، و﴿**مَا** ﴾ اسم موصول مبني لغير العاقل يفيد العموم والشمول في محلّ جرّ متعلّق بـ ﴿**يُؤَاخِذُكُمُ** ﴾ ، و﴿ **كَسَبَتْ**﴾ فعل ماض لازم مبني على الفتح ، و﴿**التاء**﴾ تاء التأنيث ،

---

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، جـ٤ ، تابع باب الباء ، (كسب) ، ١٤٤:١٤٦.

(٤) ينظر، الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، (ت:٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق ، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، كتاب الكاف ،(كسب)، جـ٢ / ٥٥٦.

(١) ابن عصفور، المقرب، باب حروف الخفض ، جـ٢٠٤/١.

و﴿ **قلوبُكم**﴾ فاعل مرفوع و﴿**كم**﴾ ضمير المخاطبين مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.

وورد متضمنًا صفة (الوجل) في موضعين :

أولهما:- قوله تعالى :- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]

قال الزبيدي: " (الوجَلُ ، مُحرَّكَة): الفَزَعُ و(الخوفُ) ، وجَمْعُهُ أَوْجَالٌ، تقولُ منهُ: (وَجِلَ، كَفَرِحَ)، وفي الحديث:" وجِلَتْ منها القُلُوبُ ".(٢)

وجملة ﴿**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب؛ دلَّت على خوف المؤمنين وفزعهم عند ذِكْرِ الله – ﷻ- ؛ استعظامًا له .

وفيها الفعل اللازم﴿**وَجِلَ**﴾على وزن(فَعِلَ) فعل ماضٍ مبني على الفتح، دال على الانفعال الباطني(كفَرِحَ) و(هَوِيَ)، و﴿**التاء**﴾ تاء التأنيث الساكنة لا محل لها ، أُسنِد الفعلُ إلى فاعله المتصف بالوجل ﴿ **قُلُوبُهُمْ** ﴾ .

والآخر:- قوله تعالى :- ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾ [الحج:٣٥]

في هذا الموضع جَاءَ التركيبُ الموصولي﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ كسابقه إلا أنه – هنا- في محلّ نصب نعت للمفعول به ﴿ **الْمُخْبِتِينَ** ﴾ ،

وفي الموضع السابق في محل رفع نعت ومنعوته﴿ **المؤمنون** ﴾ .

ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ (الريبة) في موضعٍ واحدٍ هو:

---

(٢) الزبيدي ، تاج العروس، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، تابع باب اللام (وج ل) ، جـ٣١ /٦٩.

قوله تعالى :- ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥]

جَعَلَ سلطانُ العلماءِ **قوله تعالى :- ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾** مِنْ مجازِ اللزومِ فقال:" التجوزُ بلفظِ الريبِ عَنِ الشكِّ لملازمةِ الشكِّ القلقَ والاضطرابَ فإنَّ حقيقةَ الريبِ قَلَقُ النَّفْسِ" (١)، واستدلَ علَى ذلك بأدلةٍ منها قولُهُ – ﷺ –:" إنَّ فاطمةَ بِضْعَةٌ مِنِّي يريبني ما يريبها" أي : يُقلقني ما يُقلقها، **وقوله تعالى :-**

﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛لأنها معطوفة بالواو على جملة صلة الموصول**﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾** فأفادَتِ الجَمْعَ والمشاركةَ بينَ استمرارِ انتفاءِ إيمانِهم وارتيابِ قلوبهم، وعبَّرَ بالفعلِ الماضي اللازم**﴿ارْتَابَتْ﴾** الذي دَلَّ علَى تحقُّقِ ارتيابِ قلوبِهم وثبوتِه في الزمنِ الماضي، مسندًا إلى فاعله**﴿قُلُوبُهُمْ﴾** ؛ للدلالةِ على قِدَمِ ذلك الارتيابِ في الإيمانِ والبعثِ ورسوخِهِ في قلوبِ المنافقينَ الذين يستأذنونَ رسولَ اللهِ – ﷺ – فى التخلفِ عن الجهادِ.

ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ (الاشمئزاز) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥]

قال الزبيدي:" الشَّمْزُ: نُفورُ النَّفْسِ مِمّا تَكْرَهُ ، عن ابنِ الأَعرابيّ . وتَشَمَّزَ وَجْهُهُ، أَي تَمَعَّرَ . وفي التكملةِ : تَغيَّرَ وتَقَبَّضَ . والتَّشَمُّزُ : التَّقَبُّضُ ، وقَدِ اشْمَأَزَّ الرَّجلُ اشْمِئزازًا : انقبَضَ واجْتَمَعَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ . قالَ ابنُ الأَعرابيّ : اشْمَأَزَّ: اقْشَعَرَّ، وبه فُسِّرَ **قوله تعالى :- ﴿وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**

---

(١) العز ابن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ١٣٩.

بِالآخِرَةِ﴾وعليه اقتصَرَ الزَّجّاجُ . أو اشْمَأَزَّ: ذُعِرَ مِنَ الشيءِ ، وهو قَوْلُ أَبِي زَيْدٍ ... والمُشْمَئِزّ: النّافِرُ".(١)

وقال الزمخشري: " الاستبشارُ أنْ يمتلئَ قلبُهُ سُرورًا حتَّى تَنْبَسِطَ لَهُ بَشَرَةُ وَجْهُهُ ويَتَهَلّلَ والاشمئزازُ أَنْ يمتلئَ غَمًّا حتَّى يَظْهَرَ الانقباضُ في أَدِيمِ وَجْهِهِ ".(٢)

وجاءَتْ جملةُ **﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾** جواب شرط غير جازم لا محلّ لها مِنَ الإعراب مترتبة على جملة الشرط **﴿ ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾** وتعقبها زمنيًّا وحدثيًّا أي : إذا أُفْرِدَ اللّهُ بالذِّكْرِ ، ولم تُذْكَرْ معه آلهتُهم ، فمَدَارُ المعنى على قوله : **﴿وَحْدَهُ﴾** التي جاءت مصدرًا منصوبًا على الحالية ،وجاءَ الفعلُ (اشمأزَّ) علَى وَزْنِ (افعلَّ) ؛ للدلالةِ عَلَى المبالغةِ والتوكيدِ .

وأُسندَ الفعلُ**﴿اشْمَأَزَّتْ ﴾** إلى فاعلِهِ المركَّب الإضافي**﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾** فأكسبَتِ الإضافةُ المضافَ التعريفَ بأصحابِ القلوبِ التي تنفر مِنْ ذِكْرِ اللهِ وحدَه بأنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة.

ووَرَدَ مُتضمنًا صِفَةَ (التعمد) في مَوضعٍ واحدٍ هو:

قولـه تعالى :- ﴿ ... وَلَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُنَـاحٌ فِيمَـا أَخْطَـأْتُمْ بِـهِ وَلَكِـنْ مَـا تَعَمَّدَتْ قُلُـوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥]

قال الأصفهاني: " العَمْدُ: قَصْدُ الشَّيءِ... والعَمْدُ والتَّعَمُّدُ في التعارفِ خِلافُ السَّهْوِ، وهو المقصودُ بالنيَّةِ، قال: **﴿ومَن يَّقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء/٩٣]، ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** ".(١)

---

(١) الزبيدي، تاج العروس ، باب الزاي(ش م ز) ، جـ١٥ / ١٨٠.
(٢) الزمخشري ، الكشاف ،ج ٤ / ١٣٢.
(١) الأصفهاني ، المفردات ، (عمد) ، جـ٢ / ٤٥٠.

جاءت جملة ﴿ **وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ في محل جر معطوفة بالواو على جملة ﴿**فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ** ﴾ ، و﴿**لَكِنْ**﴾ حرف استدراك مهمل وجوبًا ؛ لأنه خُفف، و﴿ **مَا** ﴾ اسم موصول مشترك لغير العاقل مبني على السكون معطوف

على﴿ **مَا** ﴾ الموصولة **في قوله:-** ﴿ **فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ** ﴾ يفيد العموم والشمول لكل ما تعمَّدَتْ قلوبُكم في وقوع المؤاخذة عليه، والجملة الفعلية﴿ **تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ صلة الموصول ﴿ **ما** ﴾ لا محل لها من الإعراب،﴿**تَعَمَّدَتْ**﴾ فعل ماض لازم مبني على الفتح ، و﴿**التاء**﴾ تاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب ، أُسْنِدَ الفعلُ﴿**تَعَمَّدَ**﴾ إلى فاعله ﴿**قلوبُكم**﴾ ، وقد جاء الفعل على وزن(تَفَعَّلَ) وهو في هذا الموضع يدلُّ على تكلف الأمر وتعاطيه ، فالفاعل يعاني الفعل ، ويريد الحصول عليه من غير إظهار ذلك ؛ إيهامًا على غيره. قال سيبويه: " وإذا أرادَ الرجلُ أنْ يُدْخِلَ نَفْسَهُ في أَمْرٍ، حتى يُضافَ إليه ، ويكونَ منْ أهلِهِ ، فإنَّكَ تقول: تَفَعَّلَ ، مثل : تَشَجَّعَ ، وتَبَصَّرَ ، وتَجَلَّدَ، وتَحَلَّمَ ، قال حاتم:

تَحَلَّمْ عنِ الأدنَيْنِ ، واستبقِ وُدَّهُم ولنْ تستطيعَ الحِلْمَ ، حتى تَحَلَّمَا".(٢)

ووَرَدَ مُتضمنًا صفةَ (التشابه) في موضعٍ واحدٍ هو:

قولـه تعالى :- ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ... ﴾**[البقرة:١١٨]**

قال الزبيدي : " تَشَابَهَا واشْتَبَهَا : أشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخَرَ حتى الْتَبَسَا".(٣)

وجملة : ﴿ **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة أو اعتراضيّة.(١)

---

(٢) سيبويه، الكتاب، جـ٤ /٧١

(٣) الزبيدي، تاج العروس ، باب الهاء ، (ش ب هـ)، جـ ٣٦/ ٤١١.

(١) صافي محمود ، الجدول في إعراب القرآن ، جـ ١ / ٢٤٨.

وفيها الفعل ﴿**تَشَابَهَ**﴾ فعل ماض لازم مبني على الفتح على وزن (تَفَاعَلَ) ؛ للدلالة على المشاركة بين اثنين أو أكثر ، و﴿**التاء**﴾ : تاء التأنيث الساكنة ، أُسند الفعل ﴿ **تَشَابَهَتْ** ﴾ إلى فاعله ﴿ **قُلُوبُهُمْ** ﴾ المركَّب الإضافي ، وفيه المضاف ﴿**قُلُوبُ**﴾ فاعل مرفوع ، وعلامة رفعه الضمه الظاهرة ، أُضيفَ إليه ضمير الغائبين ﴿**هُمْ**﴾ العائد إلى مشركي العرب واليهود والنصارى .

النمط الثاني:- [فعل ماض متعد لواحد + فاعل" اسم ظاهر" + مفعول بـه] :

ذَكَرَ سيبويه الفعلَ المتعدِّي في بابٍ أسماه " هَذَا بَابُ الْفَاعِلِ الَّذِي يَتَعَدَّاهُ فِعْلُهُ إِلَى مَفْعُولٍ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيدًا. فَعَبْدُ اللهِ اِرْتَفَعَ هَهُنَا كَمَا ارْتَفَعَ فِي (ذَهَبَ) ، وَشَغَلْتَ (ضَرَبَ) بِهِ كَمَا شَغَلْتَ بِهِ(ذَهَبَ) ؛ وَانْتَصَبَ زَيدٌ ؛ لأَنَّهُ مَفْعُولٌ تَعَدَّى إليهِ فِعْلُ الْفَاعِلِ".(٢)

فسيبويه ذَكَرَ إتيانَ الفعلِ مُتعديًا وأنَّهُ هو الَّذِي رفَعَ الفاعلَ ، ولكنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بفاعلِهِ ، فَقَدِ انْشَغَلَ بغيرِهِ فنصبَ مفعولًا بِهِ .

وَرَدَ هذا النمطُ مُتضمنًا صفة (البلوغ) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :- ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب:١٠]

قال الأصفهاني: " البلوغُ والبلاغُ: الانتهاءُ إلى أقصَى المَقْصِدِ والمُنْتَهَى، مكانًا كَانَ أو زَمَانًا، أو أَمْرًا مِنَ الأمورِ المُقَدَّرَةِ، ورُبَّمَا يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ المُشَارَفَةِ عليهِ وإنْ لمْ ينتَهِ إليهِ".(٣)

---

(٢) سيبويه، الكتاب ، جـ١ / ٣٤.

(٣) الأصفهاني ، المفردات ، (بلغ) ، جـ١/ ٧٦ ،٧٧.

وقال الشريف الرضي:" وأما قوله:**﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾** فالمراد به – والله أعلم– انتفاخ الرئات من الرُّعْبِ ومن قولهم للخائفِ الجبانِ انتفخَ سَحَرُهُ،

والسَّحَرُ الرِّئَةُ وكني عنها بالقلب؛ لتجاورهما في الجوف، ويجوز أن يكون المراد بذلك نبو القلوب عن أماكنها، وانزعاجها عن معاطنها لشِدَّةِ الرُّعْبِ، وعُلُوِّ الكَرْبِ فإذا انزعجَتِ القلوبُ عن مستقراتِهَا فإنَّمَا تطلبُ صَعَدًا فلذلك حَسُنَ أنْ يُقَالَ:**﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾**، ويجوزُ أنْ تكونَ القلوبُ ههنا كنايةً عن النفوس، ويكون معنى بلوغها الحناجر مقاربتها الخروج من عظيم الجزع ، وشدة الهلع".(١)

وجاءت جملة : **﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾** الدالة على شدة الخوف والفزع في محلّ جرّ معطوفة بالواو على جملة **﴿زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾** التي أضيفت إلى الظرف**﴿إذ﴾**، وفيها الفعل **﴿بَلَغَتِ﴾** فعل ماض متعد لمفعول واحد مبني على الفتح على وزن (فَعَلَ) اتصلت به تاء التأنيث الساكنة التي حُرِّكَتْ بالكسر ؛ منعًا لالتقاء الساكنين ، أُسند الفعل إلى فاعله **﴿الْقُلُوبُ﴾** ، وتعدَّاه ونصب مفعولا به **﴿ الْحَنَاجِرَ﴾** ، وجَاءَ كلٌّ مِنَ الفاعلِ والمفعولِ به مُعَرَّفًا بأل العهدية التي تدل على قلوب المسلمين وحناجرهم.

النمط الثالث:- [فعل مضارع لازم + فاعل" اسم ظاهر"] :

وَرَدَ مُتضمنًا صفةَ (التقطع) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :- ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٠]

(١) الشريف الرضي ، تلخيص البيان، ٢٤٢.

قال الأصفهاني: " القَطْعُ فَصْلُ الشيءِ مُدْرَكًا بالبَصَرِ كالأجسامِ أو مُدْرَكًا بالبَصيرَةِ كالأشياءِ المعقولةِ... ﴿**إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ أي إلا أنْ يموتوا ، وقيل: أنْ يتوبوا تَوبةً بها تنقطِعُ قلوبُهم نَدَمًا علَى تفريطِهم".(٢)

قال الشريف الرضي : " وقوله تعالى: ﴿ **لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ **وهذه** استعارة ومعناها أنَّ ذِكْرَ البنيان الذي بنوه لا يزال ريبةً في قلوبهم يخافون معها إنزال الله سبحانه بهم ضروب العقاب أو بسط المؤمنين عليهم لما ظاهروهم به من العناد والشقاق فهم أبدًا بنفوسهم مستريبون ، وعليها خائفون مشفقون فلا يزالون على ذلك إلى أنْ تقطَّعَ قلوبُهم حسرةً ، وتزهقَ نفوسُهم خِيفةً، وقد قيل: أيضا المراد إلا أنْ يتوبوا من ذلك ، ويندموا ندمًا تتقطع منه قلوبُهم على طريق المبالغة في صفة الندم ، وقيل أيضا المعنى إلا أنْ يتوبوا فتتقطَّع قلوبُهم التي اعتقدوا بها ذلك الغي ، وتبلى أجسادُهم ، وتنقص رممُهم".(١)

جَاءَ قوله تعالى:- ﴿ **إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ** ﴾ استثناء مِن أعمِّ الأزمنة أو مِن أعمِّ الأحوال ، فالمستثنى منه محذوف وهو إمّا عموم الأحوال أو عموم الأوقات أي لا يزال ريبة في كلّ حال أو لا يزال ريبة في كلّ وقت ﴿**إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ** ﴾ وهو استثناء للتأكيد على بقاء بنيانهم ريبة أبدًا ، فيه المستثنى منه محذوف أي لا يزال بنيانهم الذي بنوا – وهو مسجد الضرار الذي نُهي الرسول – ﷺ– عن الصلاة فيه – ريبة في كل وقت من الأوقات إلا وقت تقطيع قلوبهم وما هي بمُقَطَّعَةٍ ، و﴿**أَنْ** ﴾

---

(٢) الأصفهاني، المفردات ، كتاب القاف ، (قطع) ، جـ٢/ ٥٢٧، ٥٢٨.

(١) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ٩٢.

حرف مصدريّ ونصب و﴿**تَقَطَّـعَ**﴾ أصلها تتقطع فعل مضارع لازم منصوب–حذف منه إحدى التاءين– ؛ تخفيفًا ، اكتفى برفع فاعله﴿**قُلُـوبُهُمْ**﴾ والمصدر المؤوّل ﴿**أَنْ تَقَطَّـعَ**﴾ في محلّ نصب على الاستثناء بحذْف مضاف أي إلّا حال تقطّع قلوبهم أو إلا وقت تقطّع قلوبهم،وجملة: ﴿ **أَنْ تَقَطَّـعَ قُلُـوبُهُمْ** ﴾لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ﴿ **أنْ** ﴾.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفةَ (التخشع) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :- ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦]

قال الزبيدي: " الخُشُوعُ : الخُضُوعُ ... والخُشُوعُ : السُّكُونُ والتَّذَلُّلُ،... وكُلُّ سَاكِنٍ خَاضِعٌ وخَاشِعٌ".(١)

جَاءَتْ جملةُ ﴿ **تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ فعلية فعلها مضارع لازم ﴿ **تَخْشَعَ** ﴾ منصوب بـ﴿**أنْ** ﴾ ، وعَلامة نصبه الفتحة الظاهرة أُسْنِدَ إلى فاعله المركَّب الإضافي ، وفيه المضاف إليه ضمير الغائبين ﴿**هُمْ**﴾عائد إلى ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا** ﴾ ، والمصدر المؤوّل ﴿**أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ في محلّ رفع فاعل ﴿ **يَأْنِ**﴾ المجزوم بحذف حرف العلة (الياء) أي: ألم يحن ويقرب...؟ وقد جَاءَ المصدرُ المؤولُ في سياقِ الاستفهامِ المنفِيِّ الذي فيه معنَى العتاب ؛ وعبّرَ به دون الصريح ؛ للتجدد والاستمرار واستحضار الصورة ، وجملة ﴿**تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ صلة ﴿ **أنْ** ﴾ المصدرية لا محل لها من الإعراب.﴿**لِذِكْرِ اللَّـه**﴾ اللام حرف جر، و﴿**ذِكْـرِ**﴾ اسم مجرور ، وعلامة جره الكسرة (مضاف) اكتسب التعظيم من المضاف إليه لفظ الجلالة﴿**اللَّـه**﴾، والجار والمجرور متعلق بالفعل ﴿**تَخْشَعَ**﴾ ، ﴿

---

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، باب (العين) ، (خشع) ، جـ٢٠/ ٥٠٦، ٥٠٧.

وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ﴿الوَاو﴾ عاطفة عطفت الموصول المشترك لغير العاقل﴿**مَا**﴾ على ﴿**ذِكْرِ**﴾، وجملة ﴿**نَزَلَ**﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو) ربط جملة الصلة بالاسم الموصول ، و﴿**مِنَ الْحَقِّ**﴾ جار ومجرور متعلّق بحال من فاعل﴿**نَزَلَ** ﴾.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفةَ (الطمأنينة) في (خمسةِ) مواضع:

أولها:- قوله تعالى :- ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة:١١٣]

قال الأصفهاني : " الطُّمَأْنينةُ والاطمئنانُ السُّكُونُ بعدَ الانزعاجِ".(٢)

وَرَدَ الفعلُ ﴿ **تَطْمَئِنَّ** ﴾ مضارعًا ، وماضيه (اطمأنَّ) على وزن (افعللَّ)،

وذَهَبَ سيبويه إلى أنَّ الأصلَ (طَأْمَنَ) لا (طَمْأَنَ) ، وأيَّدَهُ ابنُ جني ، وذَهَبَ أبو عَمرو الجرمي إلى أنَّ الأصلَ تقديمُ الميم على الهمزة (اطمأنَّ) (١) ، وأيَّدَهُ ابنُ عصفور ، وأَخَذَ برأيِهِ فقالَ: " وهو الصحيحُ عِندِي ؛ لأنَّ أكثرَ تصريف الكلمةِ أَتَى عليه ، فقالُوا : (اطمأنَّ) و(يطمئن) و(مطمئن) كما قالوا: (طأمن)(يطأمن) فهو(مطأمن)، وقالوا:(طمأنينة)، ولم يقولوا:(طؤمنينة)".(٢)

---

(٢) الأصفهاني، المفردات ، باب الطاء، (طمن) ، جـ٢/ ٤٠٠.

(١) ينظر، أبو حيان، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف التوحيدي الأندلسي،(ت:٧٤٥هـ) – ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق: رجب عثمان محمد – ورمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ط١(١٤١٨هـ – ١٩٩٨م)،٨٨.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ (١٩٧٨م) ، ٢/ ٦١٨.

وهذه الصيغة (افعللَّ) وَرَدَتْ للدلالةِ علَى المطاوعةِ ، والمراد بالمطاوعةِ عندَ عُلماءِ التصريفِ قبول تأثيرِ الغيرِ، أو بتعبيرٍ آخر استجابة المفعول لتأثير الفاعل كقولهم : طمأَنْتُهُ فَاطْمَأَنَّ.(٣)

وقد أَغْنَتْ هذهِ الصيغةُ(اطمأنَّ) على وَزْنِ (افعللَّ) عن صيغةِ الثلاثي(طَمَنَ) بوزن (فَعَلَ) غير المستعملة من هذا الفعل.(٤)

جاءت جملة ﴿**وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا**﴾ من جملة قول الحواريين لعيسى-عليه السلام-: ﴿ **هل يستطيعُ ربُّكَ أَن يُنَزِّلَ علينا مائدةً مِنَ السَّماءِ** ﴾ وفيها الفعل﴿**تَطْمَئِنَّ**﴾ فعل مضارع لازم معطوف على الفعل﴿ **نَأْكُلَ** ﴾ منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة، أُسندَ إلى فاعلِهِ المركَّب الإضافي﴿**قُلُوبُنَا**﴾ الذي اكتسبَ فيه المضافُ﴿**قُلُوبُ**﴾ التعريفَ مِنْ إضافتِهِ إلى ضميرِ المتكلمينَ﴿**نَا**﴾ العائد إلى الحواريينَ.

وثانيها:- **قوله تعالى** :- ﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا **وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ** بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ **[الرعد:٢٨]**

جَاءَتْ جملةُ ﴿**وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهم**﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة بـ﴿**الوَاو**﴾ على جملة صلة الموصول ﴿**آَمَنُوا**﴾ فأفادَتِ الجَمْعَ والمشاركةَ بين حصول الإيمان واستمرارية طمأنينة القلب الملتصق بِذِكْرِ اللهِ ، وعَدَلَ عن عطْف الماضي على

---

(٣) ينظر، الجرجاني ، المفتاح في الصرف حققه وقدم له د.علي توفيق الحمد ، إربد – عمان ، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ، ٥٠.

(٤) ينظر ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (ت:٧١١هـ)، لسان العرب ، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيديَ ، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان ، ط٣ (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ،(ط م ن) ، ١٣ / ٢٦٨.

الماضي فلم يقل:(واطمأنت قلوبهم) إلى صيغة المضارع ﴿ **تَطْمَئِنَّ** ﴾ ؛ لإفادة تجدد طمأنينة قلوب المؤمنين الملتصقين بذِكْرِ الله واستمراريتها، واستحضار الصورة، و﴿**بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ ﴿**الباء**﴾ حرف جر يفيد الإلصاق،(١) والاستعانة، والسببية ، و﴿**ذِكْرِ** ﴾اسم مجرور ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وهو مضافٌ اكتسبَ من المضاف إليه لفظ الجلالة﴿ **الله** ﴾التعظيم، والجار والمجرور﴿**بِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ متعلق بالفعل﴿**تَطْمَئِنَّ**﴾؛ للدلالةِ على أنَّ طمأنينة قلوبهم بسبب ثباتهم على استعانتهم والتصاقهم بذِكْرِ الله- ﷻ-.

وثالثها:- قوله تعالى :- ﴿ ... أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ **تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ **[الرعد:٢٨]**

أفادَتِ أداةُ الاستفتاحِ ﴿ **أَلَا**﴾ التنبيهَ عَلَى أهميةِ ذِكْرِ اللهِ فِي استمراريةِ طمأنينةِ القلوبِ ، والحَثّ عَلَى الثباتِ عَلَى ذِكْرِ اللهِ ، وتقدَّم الجار والمجرور ﴿ **بِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ على الفعل﴿ **تَطْمَئِنُّ**﴾ المتعلق به ؛ للتوكيدِ وتخصيصِ الاستعانةِ(٢)والالتصاقِ بـ﴿**ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ في التأثيرِ في القلوبِ بحصولِ طمأنينتِهَا،

والاهتمام ﴿**بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾. وتكرَّرَ الفعلُ المضارع اللازم ﴿**تَطْمَئِنُّ**﴾ مرتين في الآية؛ للتأكيدِ على تَجَدُّدِ الاطمئنان، واستمراره ، وأنَّهُ لا يتخلله شكٌّ ولا انزعاج.

ورابعها:- قوله تعالى :- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ **لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**... ﴾**[البقرة:٢٦٠]**

---

(١) الزمخشري، المفصل في عِلْم العربية ، وبذيله كتاب المفضَّل في شرح أبيات المفصَّل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، دار الجيل بيروت- لبنان ، ط٢(١٣٢٣هـ)، ٢٨٥.
(٢) ابن عصفور، المقرب ، باب حروف الخفض، جـ١ / ٢٠٤.

قالَ ابنُ قتيبة : " ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ **لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ بالنظر. كأنَّ قلبَهُ كانَ مُعَلَّقًا بِأَنْ يَرَى ذلك. فإذا رآه اطمأَنَّ وسَكَنَ ، وذَهَبَتْ عنه مَحَبَّةُ الرؤيةِ".(١)

جاءَتْ جملةُ ﴿ **لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ المقدر (أَنْ) بعد لام التعليل التي بيَّنَتْ سَبَبَ طَلَبِ إبراهيم –عليه السلام– سؤال ربه كيفية إحياء الموتى ، والمصدر المؤوّل (أنْ يطمئنّ قلبي) في محلّ جرّ باللام متعلّق بفعل محذوف تقديره :(أسألُ)، و﴿**لَكِنْ**﴾حرف استدراك ، والفعل بعده معطوف بالواو على مقدّر أي: بلى آمنتُ، وما سألتُ غير مؤمن ولكنْ سألتُ عن كيفية الإحياء ؛ ليطمئنّ قلبي ، وعبّرَ بالمصدر المؤول دون الصريح ؛ للدلالةِ علَى طلبِ الخليل– عليه السلام– استمرارية طمأنينة قلبه وسكونه في الحال والاستقبال بعد الإراءة ، وأُسندَ الفعلُ المضارعُ المنصوبُ ﴿ **يَطْمَئِنَّ** ﴾ إلى فاعله ﴿**قَلْبِي** ﴾ المرفوع بضمّةٍ مُقدّرةٍ على الباء لمناسبة ياء المتكلم العائد إلى إبراهيم – عليه السلام– ، والياء ضمير المتكلم في محل جر مضاف إليه.

وخامسها:– **قوله تعالى** :– ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ **وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ **[آل عمران:١٢٦]**

جَاءَتْ جملةُ ﴿ **لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ معطوفةً بالواو على ﴿**بُشْرَى**﴾ التي أتَتْ مفعولا ثانيًا للفعل في ﴿ **جَعَلَهُ**﴾ الذي اتصل به مفعوله الأول ﴿ **الهاء** ﴾ ضمير المفرد الغائب العائد إلى إمداد الله– عز وجل– المؤمنين بالملائكة مُتقدمًا على فاعله لفظ الجلالة ﴿ **اللَّهُ**﴾؛ للتوكيدعلى أهمية هذا الإمداد فهو من الله – تعالى– بشرَى ومسرة لهم، وجَاءَ التعبيرُ في صورة الاستثناء المفرغ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ **وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ بأداة النفي﴿ **مَا** ﴾ والاستثناء﴿ **إِلَّا** ﴾ ؛ للتوكيد على أنَّ اللهَ جَعَلَ الإمدادَ بالملائكة بُشْرَى لكم ، ولتطمئنَّ قلوبُكم به ، وصرّحَ بالجار والمجرور﴿**لَكُمْ**﴾ المتعلق بـ

---

(١) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن، ٩٦.

﴿**بُشْرَى**﴾ مع وضوح أنَّ البشرَى لهم ؛ للدلالةِ علَى تكرمةِ اللهِ لهم بها ، واللام في قوله﴿ **لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ لام التعليل حرف جر مبني لا محل له مِنَ الإعراب أي ما جَعَلَهُ اللهُ إلا لأجل أنْ تطمئنَ قلوبُكم به ، و﴿ **تَطْمَئِنَّ** ﴾ فعل مضارع لازم منصوب بـ (أنْ) المضمرة بعد لام التعليل ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة أُسندَ إلى فاعله المركَّب الإضافي الذي جَاءَ فيه المضاف ﴿**قلوبُ**﴾ مرفوعًا وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، اكتسبَ مِنَ المضاف إليه ضمير المخاطَبين ﴿**كُمْ**﴾ العائد إلى مَنْ مع رسول الله – ﷺ– من المؤمنين بغزوة بدر التعريفَ، والجار والمجرور﴿**بِـهِ**﴾ متعلق بالفعل﴿**تَطْمَئِنَّ**﴾ وفيه أفادت(الباء) السببية؛ أي : تطمئن قلوبُكم بسبب هذا الإمداد ، وجملة ﴿**تَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ**﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ المقدر(أَنْ) بعد لام التعليل ، والمصدر المؤول المنسبك مِنْ (أنْ) المضمرة وما بعدها﴿**تَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ** ﴾ في محل جر بلام التعليل أفادَ التعبيرُ به دون الصريح استمرارية الطمأنينة في الحال والاستقبال بسبب هذا الإمداد ، واستحضار الصورة ، والجار والمجرور﴿**لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ متعلق بمحذوف تقديره : بَشَّرَكم.

ووَرَدَ مُتضمنًا صفة (الإباء) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :- ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨]

قال الأصفهاني : " الإباءُ : شِدَّةُ الامتناعِ ، فكُلُّ إباءٍ امتناعٌ، وليسَ كُلُّ امتناعٍ إباءً".(١) قال الزمخشري:" وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان، لما يجرونه على ألسنتهم مِنَ الكلامِ الجميلِ ".(٢)

---

(١) الأصفهاني، المفردات ، كتاب الألف ، (أبى) ، جـ١/ ٧،٨.

(٢) الزمخشري ، الكشاف، ٢/٢٥٠،

وجملة﴿ **وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة بالواو على جملة﴿**يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ الاستئنافية التي لا محل لها ، وفيها﴿**تَأْبَى**﴾ فعل مضارع لازم مرفوع ، وعَلامة رفعه الضمة المقدَّرة على الألف ؛ للتعذر أُسند الفعل إلى فاعله المركَّب الإضافي المتصف به ﴿ **قُلُوبُهُمْ**﴾؛ للدلالةِ على شِدَّةِ امتناعِ قلوبِ المشركينَ عن طاعةِ اللهِ ورسولِهِ في الحال والاستقبال .

ووَرَدَ مُتضمنًا صفة (العمى) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى :-﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]

قال الأصفهاني: " العَمَى يُقالُ في افتقادِ البصرِ والبصيرةِ، ويُقَالُ فِي الأولِ: أَعْمَى، وفي الثاني:أَعْمَى وعَمٍ... بل لم يُعَد افتقادُ البَصَرِ في جَنْبِ افتقادِ البصيرةِ عَمَى حتى قَالَ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾".(١)

جعلَ الشيخُ العز عَمَى الأبصارِ والقلوبِ مِنَ المجازِ فقالَ: " ويتجوَّزُ بِالعَمَى عَنِ الجهلِ في قولِهِ:﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ ، ولمَّا اشتركَ البصرُ والبصيرةُ في عدمِ الإدراكِ تجوّزَ بِهِ عنهُ".(٢) وفي الفائدة من وصف القلوب **بقوله تعالى:-** ﴿ **الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ قال النيسابوري: " لبيان أنَّ مَحلَّ

---

(١) الأصفهاني ، المفردات ، كتاب العين ، (عمى) ، جـ٢/ ٤٥٢ .

(٢) العز بن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ١٧٤.

العِلْم القلبُ ؛ ولئلا يُقال إنَّ القَلْبَ يُعنَى به غير هذا العضو على قولهم: القلب لُبُّ كل شيء".(٣)

وفي معنى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ قال الزمخشري : " والمعنى : أنّ أبصارَهم صحيحةٌ سالمةٌ لا عَمَى بها. وإنما العَمَى بقلوبهم. أو لا يعتدّ بعَمَى الأبصار، فكأنه ليس بعَمَى بالإضافة إلى عَمَى القلوبِ. فإنْ قُلْتَ : أى فائدة في ذِكْرِ الصدور؟

قُلْتُ : الذي قد تعورف واعتقدَ أنّ العَمَى على الحقيقة مكانه البصر ، وهو أنْ تُصَابَ الحَدَقَةُ بما يطمسُ نُورَها. واستعماله في القلب استعارة ومَثَل ، فلما أُريدَ إثبات ما هو خلاف المعتقَد مِن نسبة العَمَى إلى القلوب حقيقة ، ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفَضْلِ تعريف؛ ليتقرّرَ أنَّ مكانَ العمى هو القلوب لا الأبصار ... ".(١)

جَاءَتْ جملةُ ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ معطوفة بـ﴿الوَاو﴾ في محل رفع على جملة ﴿ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ التي جاءت في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ الحرف الناسخ الناصب المشبه بالفعل بمعنى أؤكد، واسمه ضمير الشأن ﴿الهَاء﴾ في قوله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ وتقديم ضمير الشأن فيه مِنْ قوةِ نَفْي العمَى عن

---

(٣) النيسابوري،الإمام محمود بن أبي الحسن النَّيسَابوريِّ (المتوفى بعد سنة ٥٥٣هـ)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي ، ط١ (١٩٩٥م) بيروت – لبنان،المجلد الثاني، ٥٨٠.

(١) الزمخشري ، الكشاف ، جـ ٣ /١٦٢، ١٦٣.

الأبصار ما ليس في قولهم:(فإنَّ الأبصارَ لا تَعْمَى) ، كما أنَّ فيه مِنَ الفخامة[٢]، وتشويق القارئ والمستمع لمعرفة المقصود من ضمير الشأن ، فإذا جَاءَ المسندُ إليه المنفي ﴿ **لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ** ﴾ أَفَادَ أنَّ المقصودَ بضمير الشأن هو ﴿ **الْأَبْصَارُ** ﴾ ، وأكَّدَ تجدد نَفْي العَمَى واستمراره عن الأبصار في الحال والاستقبال بإسناد الفعل المضارع المنفي﴿ **لَا تَعْمَى** ﴾ إلى فاعله ﴿ **الْأَبْصَارُ** ﴾ الاسم الظاهر المعرف بـ(أل) التعريف الجنسية التي تفيد العموم والشمول لجميع الأبصار، ولما في هذا التركيب القرآني مِنْ إعجازٍ عِلْمِيٍّ، ومِنْ خروجٍ عن مألوفِ الناسِ قد يتطرقُ معه الشكُ أو الإنكارُ إلى بعض ضِعافِ الإيمانِ جَاءَ في صورةٍ بديعةٍ حيث أُكِّدَ بـ﴿**إنَّ**﴾ ؛لإزلةِ الشكِّ ، وتقوية الحُكْمِ ؛ولبيان أهمية هذا الحُكْمِ ، وجَاءَ نَفْيُ العَمَى عن الأبصار مرتين؛ مرة بإسناد ﴿ **لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ** ﴾ إلى ضمير الشأن العائد بالإحالة إلى متأخر في الرتبة ، ومرة أخرى بإسناد﴿ **لَا تَعْمَى** ﴾ إلى فاعله ﴿ **الْأَبْصَارُ** ﴾ ، وجَاءَ المخصوص بنَفْي الحُكْمِ عنه مرتين؛ ﴿**الهاء**﴾ و﴿ **الْأَبْصَارُ** ﴾ ، و﴿**لَكِنْ**﴾ حرف مشبه بالفعل للاستدراك ؛ أَفَادَ مَنْعَ الخطأ في الفهم بنَفْي اعتقاد أنَّ مكانَ العمَى البصر ، وإثبات أنَّ مكانَ العمَى الحقيقي القلوب المستقرة في الصدور ، والفعل ﴿**تَعْمَى**﴾ فعل مضارع لازم مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف ؛ للتعذر ، أُسْنِدَ إلى فاعله ﴿ **الْقُلُوبُ**﴾ الذي جَاءَ معرفًا بـ (أل) الجنسية ؛ فأفادت الشمول لقلوب المتحدَّث عنهم وغيرهم في أنَّها هي التي تتصف بالعمَى حقيقة ، وأكّد هذا الحكم بوصف هذه القلوب بقوله:﴿ **الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ ؛ لزيادة التقرير والتبيين والتعريف بأنّ مكانَ العمَى هو القلوب المستقرة في الصدور لا الأبصار ، و﴿ **الَّتِي** ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل رَفْع نعت

---

(٢) ينظر، الرازي،الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت:٦٠٦هـ) ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق د. نصر الله حَاجي ، دار صادر بيروت– لبنان ، ط١(١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م)،١٨٨.

لـ ﴿ **الْقُلُوبُ**﴾، و﴿**فِي الصُّدُورِ** ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره : استقرت أو تستقر،أفادت ﴿**في**﴾ الظرفية المكانية أي الوعاء حقيقة.

فالقلب مكانه الصدر ، والصدر وعاءٌ له ، وجملة (تستقر في الصدور) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، وأَفَادَ الوصفُ زيادةً على ما سَبَقَ التعريضَ بالمتحدَّث عنهم حيث إنهم لم ينتفعوا بقلوبهم المستقرة في صدورهم.

وترى الباحثةُ أنَّ إسنادَ العمى إلى القلوب في هذا الموضع إسنادٌ حقيقيٌّ، فالقلوب تعمى وينتج عن هذا العمى الجهل والضلالة.

النمط الرابع:-[فعل مضارع لازم+جار ومجرور+فاعل" اسم ظاهر"]:

ورد هذا النمط في(ثلاثة) مواضع:

أولها: وَرَدَ مُتضمنًا صفةَ (الطمأنينة) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:-﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠]

هذه الآية تتشابه مع **قوله تعالى:-﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦]**

في المقصود من الآيتين من حيث المعنى، وفي أنَّ كُلا منهما تتحدثُ عن صحابةِ رسولِ اللهِ – ﷺ- ، وتغايرتا في أربعة أشياء:

١- آية الأنفال تتحدث عن الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وآية آل عمران تتحدث عن الإمداد بالملائكة في غزوة أُحُد.

٢- تقديم الجار والمجرور ﴿ بِـهِ﴾ على ﴿قُلُوبُكُمْ ﴾ في آية الأنفال في **قولـه تعالى:-** ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ بِـهِ قُلُوبُكُمْ** ﴾، وتأخيره في آية آل عمران في **قولـه تعالى:-** ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ .

٣- في آية الأنفال﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّـهُ إِلَّا بُشْرَى** ﴾ بدون (لكم) ، وزيادة ﴿**لكم** ﴾ في آية آل عمران﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ** ﴾ .

٤- استئناف تأكيد الوصفين بـ ﴿ **إِنَّ** ﴾ في خاتمة آية الأنفال في **قوله تعالى:-** ﴿**إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ ، ووردت الصفتان تابعتين دون تأكيد في خاتمة آية آل عمران . وفي تعليل ذلك قال الغرناطي: " والجواب عن الأول والثاني ، والله أعلم : أنَّ آيةَ آل عمران لما تقدَّمَ فيها **قوله تعالى:-** ﴿**وَيَأْتُوكُمْ مِن فَوْرِهِمْ** ﴾ **[آل عمران:١٢٥]**، والإخبار عن عدوهم فاختلطَ ذِكْرُ الطائفتين ، وضمهما كلامٌ واحدٌ فجردت البشارة لمن هُدِيَ منهما ، وأنها لأولياء الله المؤمنين فقيل: ﴿ **بُشْرَى لَكُمْ** ﴾ ، وبَيَّنَ أنَّ قلوبَهم هي المطمأنة بذلك فقيل:﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ** ﴾ ، فقدمت القلوب على المجرور ؛ اعتناءً وبشارةً ؛ ليمتازَ أهلُها ممن ليس لهم نصيب . أما آية الأنفال فلم يتقدَّمْ فيها ذِكْرٌ لغير المؤمنين فلم يحتج إلى ضمير الخطاب في﴿**لَكُمْ**﴾، وأيضا فإنَّ آية الأنفال قد تقدَّم قبلها **قوله تعالى:-** ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّـهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ** ﴾ **[الأنفال/٧]** فأغنى عن عودته فيما بعده اكتفاءً بما قد حَصَلَ مما تقدم من تخصيصهم بذلك. والجواب عن السؤال الثالث : أنَّ آيةَ الأنفال تقدَّمَ فيهاأوعادٌ جليلةٌ كقوله تعالى:- ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ **[الأنفال/٧]** ، ثم قال:﴿**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ **[الأنفال/٨]** ، فهذه أوعادٌ علية لم يتقدَّم إفصاحٌ بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين مِن قُدرتِهِ جَلَّ وتعالى على كل شيء ، وحِكْمَتِهِ في أفعالِهِ فقال:﴿**إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ **[الأنفال/١٠]** ، ولما لم يقع في آية آل عمران إفصاحٌ بما في آية الأنفال وردَتِ الصفتان تابعتين دون تأكيدٍ ، وجاءَ كلٌّ على

ما يناسب ، ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب ، وذلك واضح ، والله أعلم."[١]

وثانيها: ورد متضمنًا صفة (الإخبات) في موضع واحد هو:

قوله تعالى:- ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ [الحج:٥٤]

قال الأصفهاني: " الخَبْتُ: المُطمئنُ مِن الأرض ، وأَخْبَتَ الرَّجُلُ : قَصَدَ الخَبْتَ أو نَزَلَهُ ، نحو: أسْهَلَ وأَنْجَدَ ، ثمَّ استُعمِلَ الإخباتُ استعمالَ اللينِ والتواضُعِ ... **وقوله تعالى:- ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾** أي تلينَ وتخشعَ".[٢]

فيه (الفاء) عاطفة للفعل المضارع اللازم **﴿ تُخْبِتَ ﴾** على المضارع المنصوب بعد فاء السببية**﴿يُؤْمِنُوا ﴾** فأفادَتِ الترتيبَ والتعقيبَ بلا مهلةٍ؛[٣] فحصول الإيمان بالقرآن وما به يعقبه إخبات قلوب الذين أوتوا العِلْم حَدَثيًا وزمنيًّا، والفعل المضارع اللازم **﴿تُخْبِتَ ﴾**منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة أُسند إلى

---

(١) الغرناطي ، الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت: ٧٠٨ هـ) ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي،بيروت ط١ (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ٣١٤، ٣١٥.

(٢) الأصفهاني ، المفردات ، كتاب الخاء ، (خبت) ، جـ١/ ١٨٧.

(٣) ينظر، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،(ت: ٢٨٥هـ) المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، ط٣ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، جـ١ / ١٤٨.

فاعلـه المركَّـب الإضـافي المتصـف بالإخبـات﴿**قُلُـوبُهُمْ**﴾ مسـبوقًا بالجـار والمجـرور ﴿**لَهُ**﴾المتعلق بالفعل ﴿**تُخْبِتَ** ﴾ وتقديم الجار والمجرور أفاد التوكيد والتخصيص للقرآن بأنه هو الذي تُخبت له قلوبُ الذين أوتوا العِلْمَ إخباتَ خشوعٍ وخضوعٍ ولينٍ وطمأنينةٍ.

وثالثها: ورد متضمنًا صفة (التقلُّب) في موضع واحد هو:

قولـه تعالى:- ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّـهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَـاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور:٣٧]

قال النيسابوري:﴿ **تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ** ﴾ ببلوغها إلى الحناجر،﴿ **وَالْأَبْصَارُ** ﴾ بالشخوص والزرقة والرَّدِّ على الأدبار".(١)

وعَرَضَ البغوي لما قيل في معنى تقلب القلوب والأبصار فقال:

"﴿ **يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ قيل : تتقلب القلوبُ عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر ، وتنفتح الأبصار من الأغطية ، وقيل : تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة ، وتقلب الأبصار من هول أي ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال ، ومن أين يؤتون الكتب أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل ، وذلك يوم القيامة. وقيل: تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج ، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته".(٢)

وترى الباحثةُ أنَّ التقلُّبَ – هنا– حِسِّيًّا ومعنويًّا ، ولا معنى لتخصيصه بنوعٍ دون نوعٍ ، وإنما يترك على عمومه ؛ للدلالة على شدة الروع في هذا اليوم.

---

(١) النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن، المجلد الثاني ،٦٠٣.

(٢) البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) ، معالم التنزيل حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤ (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م) ، جـ٦/٥١.

وجاء الفعل﴿**تَتَقَلَّبُ**﴾مضارعًا على وزن(تتفعَّل)؛ للدلالة على معنى المطاوعة" للتكثير"، قال أبو حيان: " التقلب: التردد ، وهو المطاوعة ، قَلَّبْتُه ، فتَقَلَّبَ ".(١)

وأُسندَ الفعلُ إلى فاعله ﴿ **الْقُلُوبُ**﴾ فدلَّ على معنى التكثير أي كثرة تردد القلوب في يوم القيامة ، وتقدَّم الجار والمجرور ﴿**فِيهِ**﴾ على المسند إليه ﴿**الْقُلُوبُ**﴾ ؛ فأفاد التوكيد والتخصيص والاهتمام بالمتقدِّم ﴿**يَوْمًا**﴾ ، وجملة: ﴿**تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ في محلّ نصب نعت لـ ﴿**يَوْمًا**﴾أفاد تخصيص ذلك اليوم بكثرة تقلُّبِ القلوب والأبصار .

النمط الخامس:[فعل مضارع لازم+ فاعل"مركب إضافي"+ حرف عطف+ اسم معطوف]:

وَرَدَ متضمنًا صفة (اللين) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:- ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣]

جَعَلَ الشيخُ العز بن عبد السلام (اللين) مِنَ المجازِ عن التأتي وسرعة الانقياد إلى الحق والصواب بتأتي الشيء إلى ما يُراد منه.(٢)

جاءت جملة: ﴿**تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ في محلّ نصب

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط١ (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) ، جـ٤١٨/١.

(٢) العز بن عبد السلام، مجاز القرآن، ١٦٩ ،١٧٠.

معطوفة على جملة ﴿ **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾ بحرف العطف ﴿**ثُمَّ**﴾ الذي أفاد الترتيب والتراخي في بيان تأثير القرآن الكريم في المؤمنين حيث تقشعر قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذِكْرِ الله .

وجاءَت الأفعالُ﴿ **تَقْشَعِرُّ** ﴾ ﴿ **يَخْشَوْنَ**﴾ ﴿ **تَلِينُ**﴾ مضارعة ؛ للدلالة على التجدد والاستمرار واستحضار الصورة ؛ فالذين يخشون ربهم إذا استمروا على هذه الخشية يستمر تأثير القرآن فيهم ، أُسند الفعل﴿ **تَلِينُ** ﴾ المضارع اللازم المرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة إلى فاعله المركَّب الإضافي ﴿ **جُلُودُهُمْ** ﴾ المعطوف عليه بـ﴿**الواو**﴾ التي تفيد الجمع والمشاركة من غير تعرُّضٍ لترتيبٍ ولا مُهلةٍ[١] بين المعطوف﴿ **قُلُوبُهُمْ** ﴾ والمعطوف عليه ﴿ **جُلُودُهُمْ**﴾ في اللين إلى ذِكْرِ الله – ﷻ– ، وفيه زيادة مَدْحٍ للكتاب بوصفه ﴿ **ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ بعد وصفه ﴿ **أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** ﴾ فللقرآن تأثيرٌ ظاهرٌ على جلود الذين يخشون ربهم، وباطنٌ في طمأنينة وسكينة قلوبهم ومِنْ ثَمَّ سرعة الانقياد إلى طاعة الله والاهتداء بهُدَاه ، والجار والمجرور﴿**إِلَى ذِكْرِ** ﴾ متعلق بالفعل ﴿ **تَلِينُ** ﴾ الذي عُدِّيَ بحرف الجر﴿ **إِلَى** ﴾ بتضمينه معنى(تطمئن) ، وحرف الجر﴿**إِلَى**﴾ أفادَ انتهاءَ الغايةِ مِنَ اللينِ ، والمجرور ﴿ **ذِكْرِ** ﴾ مضاف اكتسب من المضاف إليه لفظ الجلالة ﴿ **اللَّهِ** ﴾ التعظيم.

النمط السادس:-[أداة نفي" لم"+ فعل مضارع لازم+ فاعل"اسم ظاهر"]:

وَرَدَ مُتضمنًا نفي صفة (الإيمان) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:٤١]

---

(١) ابن عصفور،المقرب ، باب عطف النسق، جـ١/ ٢٢٩.

قال الأصفهاني :" يُقَالُ لكلِّ واحدٍ مِن الاعتقادِ والقولِ الصِّدْقِ والعملِ الصالحِ إيمانٌ ... والإيمان التصديق الذي معه أَمْنٌ ".(٢)

جَاءَتْ جملة ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب؛ وفيها جاءت جملة مقول القول ﴿**آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ الفعلية بإسناد الفعل الماضي المبني على السكون لفاعله ضمير ﴿**نا**﴾ الفاعلين العائد إلى المنافقين ؛ حرصًا منهم على إظهار التصديق حتى يتحققَ لهم به أَمْنٌ ، ومن ثَمَّ جاء الجار والمجرور ﴿**بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ متعلقًا بالفعل ﴿**آمَنَ**﴾ ، دون بألسنتهم ؛ تأكيدًا على هذا الحرص ؛ وبَعده الجملة الحالية ﴿ **وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ التي أبانَتْ كَذِبَ ادعائهم بنَفْي إسناد الفعل المضارع اللازم ﴿**تُؤْمِنْ**﴾ إلى فاعله الذي يتصف به ﴿**قُلُوبُهُمْ**﴾ بحرف النفي والجزم والقلب ﴿ **لَمْ** ﴾ الذي نَفَى عنهم صفة الإيمان في الماضي عندما قالوا بأفواههم ﴿**آمَنَّا**﴾ وجزم الفعل المضارع ﴿ **تُؤْمِنْ** ﴾ بلم ، وعلامة جزمه السكون ، وبعده الفاعل المركَّب الإضافي ﴿ **قُلُوبُهُمْ** ﴾ الذي فيه ضمير الغائبين المبني على السكون ﴿ **هُمْ** ﴾ العائد إلى المنافقين في محل جر مضاف إليه.

---

(٢) الأصفهاني ، المفردات ، كتاب الألف ، (أمن) ، جـ١ /٣٣.

الفصل الثاني

" المشتقات العاملة عمل الفعل في القلب مرفوعًا "

وَرَدَ من المشتقات العاملة اسمُ الفاعل في (أربعة) مواضع : عُدِلَ فيها عن الفعل إلى اسم الفاعل معرفًا بـ(أل) في موضعين؛**قوله تعالى:-﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله تعالى:- ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾**، ومجردًا من (أل) منونًا في موضعين **﴿لَاهِيَةً ﴾** وبعده معموله **﴿قُلُوبُهُمْ﴾** كسابقيه ،و**﴿آثِمٌ﴾** وبعده معموله**﴿قَلْبُهُ﴾** بصيغة الإفراد، واسم المفعول في موضعٍ واحدٍ **﴿الْمُؤَلَّفَةِ﴾** معرفًا بـ(أل) ، وبعده معموله **﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾** نائب فاعل.

وقد أَلْحَقْتُ اسمَ الفاعل بأنماط الفعل المضارع السابقة لِمَا بينهما مِنْ تشابُهٍ في العمل والدلالة والزمن أشار إليه سيبويه بقوله : " هذا باب من اسم الفاعل الذي جَرى مَجْرَى الفعل المضارع في المفعول في المعنى فإذا أردْتَ فيه من المعنى ما أردْتَ في يَفْعَلُ كان نكرةً منونًا ، وذلك قولك: هذا ضارِبٌ زيدًا غدًا. فمعناه وعملُه مثلُ هذا يَضْرِبُ زيدًا غدًا. فإذا حدَّثْتَ عن فعلٍ في حينٍ وقوعِه غيرِ منقطعٍ كان كذلك. وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعةَ ، فمعناه وعملُه مثل هذا يَضْرِبُ زيدًا الساعةَ. وكان زيدٌ ضاربًا أباك، فإنما تُحدِّث أيضا عن اتِّصال فعلٍ في حال وقوعه. وكان مُوافِقًا زيدًا، فمعناه وعملُه كقولك: كان يَضرب أباك، ويوافِقُ زيدًا. فهذا جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منونًا." (١) وقد وضَّحَ د. مهدي المخزومي التشابه في الدلالة والزمن بقوله : " صيغة اسم الفاعل عبارة عن وَصْفٍ مأخوذ مِنْ فعلٍ مضارعٍ مبني للمعلوم للدلالة على مَنْ قام بالفعل . ويؤخذُ من المضارع أساسًا ؛ لأنه " وصْفٌ يدل على حدَث وزمن ، ودلالته على الزمن ترتبط بالحال والمستقبل ، وهذا

---

(١) سيبويه، الكتاب، جـ ١ /١٦٤.

هو زمن المضارع ، فكلاهما يدل على الاستمرار، ويكون المضارع المأخوذ منه مبنيًا للفاعل ؛ لأنَّ المأخوذ منه يكون وصفًا للفاعل أيضًا ".(٢)

وقد ذَكَرَ سيبويه أنَّ الألف واللام مَنَعَتا الإضافة ، وصارتا بمنزلة التنوين ، وأن اسم الفاعل بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى والعمل فقال: " هذا بابٌ صار الفاعلُ فيه بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى ، وما يَعْمَلُ فيه وذلك قولك : هذا الضاربُ زيدًا ، فصار في معنى [هذا] الذي ضَرَبَ زيدًا ، وعَمِلَ عَمَلَهُ ؛ لأنَّ الألف واللام مَنَعَتا الإضافة ، وصارتا بمنزلة التنوين ".(٣)

بمعنى أنَّ **قوله تعالى:-** ﴿ ...**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾ بمنزلة (الذين قَسَتْ قلوبُهم) في المعنى والعمل ، وأرى أنه وإنْ كان ذلك كذلك ، إلا أنَّ هناك فَرْقًا في المعنى فهذه القسوة لم تحدث وتنتهِ في الماضي ، وإنما حَدَثَتْ ولم تنته فصفتها الثبات والاستقرار والدوام والاستمرار الذي أبينه في تحليل موضعَيِّ النمط التاليين:

النمط الأول :- [اسم فاعل + فاعل" اسم ظاهر"] :

وَرَدَ مُتضمنًا صفة (القسوة) في موضعين:

أولهما:- قوله تعالى:- ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج:٥٣]

---

(٢) د. مهدي المخزومي ، النحو العربي ، نقد وتوجيه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٧٩م)، ١١٩ .

(٣) سيبويه،الكتاب ، جـ١/ ١٨١، ١٨٢.

جاءَ التعبيرُ عن صفة القسوة ﴿ **الْقَاسِيَةِ** ﴾ في صورة اسم الفاعل مغايرًا المواضع السابقة التي أتَتْ في صورة الفعل الماضي ﴿**قَسَتْ**﴾ فدلَّ على الإثبات المطلق لقسوة قلوبهم دون قصد التطرق لزمان تلك القسوة.(١)

قال الأصفهاني: " القسوة: غلظ القلب، وأصله مِن: حجرٍ قاسٍ، ... **قال تعالى:-** ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ **[البقرة/٧٤]**، ﴿**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِن ذِكْرِ اللهِ**﴾ **[الزمر/٢٢]**، وقال: ﴿**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ **[الحج/٥٣]**".(٢)

وفي قوله: ﴿**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ الواو عاطفة ، و﴿ **الْقَاسِيَةِ** ﴾ مشتق اسم فاعل من الثلاثي (قَسَا) معطوف على ﴿ **الَّذِينَ** ﴾ مجرور ، وعلامة جرِّه الكسرة ، وحرف العطف ﴿ **الْواو** ﴾ أفاد الجمع والمشاركة بين الذين في قلوبهم مرضُ التردد في قبول الإيمان ، و﴿**الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ في حصول فتنة ما يُلْقِي الشيطانُ إليهم ، و﴿**قُلُوبُ**﴾ فاعل لاسم الفاعل مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف ، وضمير الغائبين ﴿ **هُمْ** ﴾ في محل جر بالإضافة.

والآخر:- قوله تعالى:- ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الزمر:٢٢]

في **قوله تعالى:-** ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾ الفاء استئنافية ، و﴿ **وَيْلٌ** ﴾ مبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة ، والجار والمجرور﴿ **لِلْقَاسِيَةِ** ﴾ متعلق بخبر﴿**وَيْلٌ**﴾ المحذوف، أفادت اللام الجارة الاختصاص للقاسية قلوبهم بالويل،وقد وَرَدَ اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة ؛ لأنه دلَّ على صفة ثابتة فيهم، ورَفَعَ فاعلا وهو﴿**قُلُوبُهُمْ** ﴾، وأفاد إسناد القساوة إلى قلوبهم التنصيص على فساد هذا العضو وعدم قبوله شيء.

---

(١) ينظر،الرازي، نهاية الإيجاز، ٨٠.
(٢) الأصفهاني ، المفردات ، كتاب (القاف)،(قسو)، جـ٢/ ٥٢٢ .

وجملة: ﴿ **وَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾ لا محلّ لها من الإعراب استئنافيّة،والجار والمجرور﴿**مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ متعلّق بالقاسية.

ووَرَدَ متضمنًا صفة (اللهو) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:- ﴿ **لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ **[الأنبياء:٣]**

قال الأصفهاني: " اللهو: مَا يَشْغَلُ الإنسانَ عمَّا يَعْنيهِ ويَهِمُّهُ ،... **وقوله تعالى:-** ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾ أي : ساهيةً مُشْتَغِلَةً بما لا يعنِيهَا".(١)

وقال النيسابوري:"﴿ **لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾ : مشتغلةً، مِن لهِيتُ ألهَى لهوًا ولُهِيًّا.

أو طالبةً للَّهوِ، مِنْ لهوت ألهو، وإذا تَقَدَّمَتِ الصِّفَةُ انتصبت، كقول الشاعر:

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ." (٢)

كذلك ﴿**لَاهِيَةً** ﴾تقدَّمَتْ على﴿ **قُلُوبُهُمْ**﴾ فصارت حالا ؛ أفادت بيان حال قلوبهم عند استماعهم للذِّكْرِ؛ فهي مشتغلة أو طالبة للهو حتى لا تسمع للقرآن. أما إذا قيل:(قلوبهم لاهية) فإن ذلك يدل على ثبات صفة اللهو لهم على كل حال وهذا غير مقصود، و﴿**لَاهِيَةً**﴾ مؤنّث لاهٍ، اسم فاعل من لها يلهو،وهي حال منصوبة من واو الجماعة في ﴿**يَلعبون** ﴾ ، و﴿ **قُلُوبُهُمْ**﴾ فاعل لاسم الفاعل ﴿ **لَاهِيَةً** ﴾ .

وورد متضمنًا صفة (الإثم) في موضعٍ واحدٍ هو:

---

(١) الأصفهاني، المفردات، جـ٢/ ٥٨٦، ٥٨٧.

(٢) النيسابوري، إيجاز البيان، المجلد الثاني، ٥٥٦.

قوله تعالى:- ﴿... وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٣]

قال الأصفهاني: " الإثم والأثام اسمٌ للأفعال المبطِئةِ عن الثَّوابِ ، وجَمْعُهُ آثام ،... والآثِمُ: المُتَحَمِّلُ معنى الإثمِ ، **قال تعالى:- ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾** ".(١)

قال سلطان العلماء:" الأصل في الإثم أنْ يُضَافَ للعضو الذي صدَرَ عنه حقيقةً ثم على سائر الجسد حُكْمًا. فإذا زنَى الإنسان ، يقال : أثِمَ فرْجُه. وإنْ شتمَ : أثم لسانه . فينبغي في الشهادة أنْ يأثمَ لسانُه ؛ لأنه الممتنع من الأداء ، فقوله :**﴿ قَلْبُهُ ﴾** مشكل.

الجواب: لما كان الأصل في المنع من الأداء، إنما يكون لرغبة أو رهبة وهما في القلب ، فالقلب المانع في الحقيقة ، فإضافة الذنب إليه أولى".(٢)

وفي **قوله تعالى:-﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾** ﴿**الوَاو**﴾ استئنافية،و﴿**مَنْ**﴾ اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، **﴿ يَكْتُمْهَا ﴾** جملة الشرط

جملة فعلية فعلها**﴿ يَكْتُمْ ﴾** مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه السكون أسند إلى فاعله الضمير المستتر" هو" العائد إلى ﴿**مَنْ يَكْتُمْهَا**﴾، وتعدَّى إلى مفعوله ضمير الغائبة ﴿**الهاء**﴾ العائدة إلى الشهادة ، وبعدها جملة جواب الشرط الاسمية**﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾** التي جاءَتْ في محلّ جزم جواب الشرط الجازم مقترنة بـ ﴿**الفَاء**﴾ التي ربطت جملة جواب الشرط بجملة الشرط ، وجعلتها ترتبط بها وتعقبها حدثيًّا وزمنيًّا ؛ فالموصوف بأنه آثمٌ قلبُه مَنْ يستمر في كتمان الشهادة ، وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع

---

(١) الأصفهاني ، المفردات ، كتاب الألف ، (أثم) ،جـ١ /١١.

(٢) العز ابن عبد السلام ، فوائد في مشكل القرآن ، المحقق: سيد رضوان علي الندوي، دار الشروق – جدة، ط٢ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ١٠٤ ،١٠٥.

خبر المبتدأ ﴿ **مَنْ** ﴾، وجملة: ﴿ **مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة فيها معنى التعليل للنهي عن كتمان الشهادة. و﴿ **إِنَّ** ﴾ حرف مشبّه بالفعل يفيد التوكيد و﴿**الهاء**﴾ ضمير مبني على الضم في محلّ نصب اسم ﴿ **إِنَّ** ﴾ ، و﴿ **آثِمٌ** ﴾ خبر إنّ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو اسم فاعل عامل مشتق من الثلاثي (أَثِمَ) أفادَ ثباتَ صفة الإثم لمَنْ يستمر في كتمان شهادة الحق بالامتناع عن أدائها، و﴿**قَلْبُ**﴾ فاعل لاسم الفاعل﴿ **آثِمٌ** ﴾ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و﴿**الهاء**﴾ ضمير مبني على الضم في محل جر مضاف إليه. وأسند الإثم إلى القلب، مع أنَّ أداء الشهادة يكون باللسان ؛ لأن الكتمان موطنه القلب فإذا أثم القلب ظهر أثر إثمه على الجوارح .

النمط الثاني:- [اسم مفعول + نائب فاعل" اسم ظاهر"] :

وَرَدَ متضمنًا صفة (التأليف) في موضعٍ واحدٍ هو:

قوله تعالى:- ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ [التوبة:٦٠]

قال الأصفهاني: " والإلفُ : اجتماعٌ مع التئامٍ ... والمُؤَلَّفُ: ما جُمِعَ مِنْ أجزاءٍ مُختلفةٍ ، ورُتِّبَ تَرْتِيبًا قُدِّمَ فيه ما حَقُّهُ أنْ يُقَدَّمَ ، وأُخِّرَ فيه ما حَقُّهُ أنْ يُؤَخَّرَ،...".(١)

﴿**وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾ ﴿**الْمُؤَلَّفَةِ**﴾، اسم مفعول عامل معرف بـ (أل) من الرباعيّ (أَلَّفَ) معطوف بـ (**الواو**) على﴿ **الفقراء**﴾ مجرور، وعلامة جره الكسرة ، أفادت (الواو) الجمع والمشاركة بين المؤلفة قلوبهم والفقراء في أنهم مِنَ المستحقين للصدقات ، ﴿**قُلُوبُ**﴾ نائب فاعل لاسم المفعول ﴿**الْمُؤَلَّفَةِ** ﴾ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة ، و﴿**هُمْ**﴾ ضمير الغائبين المبني على السكون في محل جر بالإضافة.

---

(١) الأصفهاني ، المفردات ، كتاب الألف ، (ألف) ، جـ١/ ٢٥.

الخاتمة ونتائج البحث:

توصلت الدراسة لتراكيب مرفوعات القلب في الجملة الفعلية في القرآن الكريم إلى نتائج نحوية دلالية من أبرزها:

١- هناك فروق دلالية تؤدي إلى استخدام الفعل أو المشتق في مواضع ، والعدول عنه إلى الاسم في مواضع أخرى فصيغ الأفعال والمشتقات تُصوِّر المشاهِد ، وتستحضِر الأحداث كأنما تراها العين ، وتسمعها الأذن .

٢- استخدام الاسم يثبُتُ به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئًا بعد شيء، وأمَّا الفعل فموضوعه على أنْ يقتضي التجدد والحدوث، فإذا كان الفعل ماضيًا فالمراد بالتجدد في الماضي الحصول ، وإذا كان الفعل مضارعًا فالمراد بالتجدد في المضارع أنَّ مِنْ شأنه أنْ يتكرَّر ويقع مَرَّةً بعد أخرى.

٣- التعامل مع النص القرآني تعاملا مجردًا عن الميول والأهواء المسبقة يؤدي إلى تقريب الفجوة بين المؤيدين والمعارضين لوجود المجاز في القرآن الكريم.

٤- كل مفردة في سياقها القرآني الذي وردت فيه هي الأبلغ والأنسب للسياق العام لها لا يحل غيرها محلها ، وتعطي معناها من كل وجه، ويجب علينا ألا ننظر إليها مفردة بمعزل عن سياقها.

٥- التدبر في اختيار المفردة اللغوية والصيغة الصرفية والتركيب النحوي يكشف عن أسرار التركيب القرآني.

٦- إذا أُطْلِق لفظ القلب ووُصِفَ بصفةٍ في القرآن الكريم فإنما يُراد به ما في الصدر لا يُصْرَفُ إلى معنى آخر إلا إذا وجِدَتْ قرينة .

وبَعْدُ: فإنِّي أَحْمَدُ اللهَ حَمْدًا كَثيرًا طيبًا مُباركًا فيه ، وأسألُهُ بأسمائِهِ الحُسْنَى ، وصفاتِهِ العُلَى أَنْ يُنَقِّيَ قُلوبَنَا مِنَ الخطايَا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ مِنَ الدَّنَسِ ، وأنْ

يَكتبَ لهذا العملِ القبولَ والإخلاصَ ، ويعفو عَمَّا به مِنْ زَلَلٍ ونُقصانٍ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ ، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين.

المصادر والمراجع

أولا:- المصادر: القرآن الكريم.

ثانيًا :- المراجع:

* **ابـــــن أم قاســـــم**، الحســـن بـــن قاســـم المـــرادي(ت:٧٤٩هـــ) ، **الجنـى الـداني فـي حـروف المعـاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة،ومحمد نديم ، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان،ط١(١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).

* **ابن عصفور**، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت:٦٦٩هـ) ،

– **المُقَرَّب**، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبُوري، ط١ (١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م).

– **الممتـع فـي التصريف**،تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة ، بيروت، ط٣، (١٩٧٨م).

***ابـن قتيبـة** ، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي (ت: ٢٧٦هـ)، **تفسـير غريـب القـرآن** بتحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (١٣٩٨هـ– ١٩٧٨م).

* **ابـن منظـور**، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (ت:٧١١هـ)، **لسـان العـرب**، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيديَ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان ، ط٣ (١٤١٩هـ–١٩٩٩م).

* **أبـــو حيـــان** ، أثيـر الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن يوسـف التوحيـدي الأندلسي،(ت:**٧٤٥**هـ):

– **ارتشاف الضرب من لسان العرب** ، تحقيق: رجب عثمان محمد – ورمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ط١(١٤١٨هـ – ١٩٩٨م).

– **البحر المحيط**، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط١ (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).

* **الأصـفهاني** ، أبـو القاسـم الحسـين بـن محمـد المعـروف بالراغـب الأصـفهاني ، (ت:٥٠٢هـ) ، **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق ، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

* **البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(**ت:٢٥٦هـ**)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه** ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ (١٤٢٢هـ).

* **البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ)، **معالم التنزيل** حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر– عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤ (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).

* **الجرجاني** ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، (ت٤٧١ هـ أو ٤٧٤هـ)، – **المفتاح في الصرف** حققه وقدم له د.علي توفيق الحمد ، إربد – عمـــان ، مؤسســـة الرســـالة – بيـــروت، ط١(١٤٠٧هـــ–١٩٨٧م) .
– **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، علَّق عليه ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة (١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م).

* **الجرجاني**، العلامة على بن محمد الشريف الجرجاني(ت: ٨١٦هـ) ، **التعريفات** ، لبنان – بيروت(١٩٨٥م).

* **الرازي**،الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت:٦٠٦هـ) ، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** ، تحقيق د. نصر الله حَاجي ، دار صادر بيروت– لبنان ، ط١(١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م).

* **الرماني**، علي بن عيسى الرُّمَاني النحْوي (ت:٣٨٤هـ) ،**كتاب معاني الحروف** حققه د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق– جدة ، ط٢(١٤٠٤هـ – ١٩٨١م).

* **الزبيدي**،السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس(ت:١٢٠٥هـ)**، تحقيق مجموعة من علماء اللغة ،الكويت ط١(١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م).

* **الزمخشري**، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوَّض ، مكتبة العبيكان ط١(١٤١٨هـ).

– **المفصل في عِلْم العربية** ، وبذيله كتاب المفضَّل في شرح أبيات المفصَّل للسيد محمد بدر الدين النعساني، دار الجيل بيروت– لبنان ، ط٢(١٣٢٣هـ).

* **الشريف الرضي**، محمد بن حسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم الشهير بالشريف الرضي(ت : ٤٠٤هـ)، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق:د.علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان(١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م).

* **العز بن عبد السلام** ، الشيخ الإمام سلطان العلماء عِز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدِّمشقي الشافعيّ (ت: ٦٦٠هـ) – **فوائد في مشكل القرآن** ، تحقيق، سيد رضوان علي الندوي، دار الشروق – جدة، ط٢(١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م).

– **مجاز القرآن** ، تحقيق د/ مصطفى محمد حسين الذهبي،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لندن سلسلة المخطوطات المنشورة : رقم ٦، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

* **الغرنـاطي** ، الحـافظ أبـو جعفـر أحمـد بـن إبـراهيم بـن الزبيـر الثقفـي العاصـمي الغرناطي(ت:٧٠٨ هـ) ، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشـابه اللفـظ مـن آي التنزيـل** ، تحقيـق سـعيد الفـلاح، دار الغـرب الإسـلامي، بيروت ، ط١(١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

* **المـــــالقي**،أحمـــد بـــن عبـــد النـــور المـــالقي (ت: ٧٠٢هـــ)، **رصـف المبـاني شـرح حـروف المعـاني**، تحقيق:أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، ط١(١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م) .

* **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،(ت: ٢٨٥هـ): **المقتضب**، تحقيق محمد عبـد الخـالق عضـيمة، مطـابع الأهـرام ، قليـوب ، مصـر ، ط٣ (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م).

* **النيسابوري**،الإمام محمود بن أبي الحسن النَّيسَابوريِّ (المتوفى بعد سنة ٥٥٣هـ)، **إيجـاز البيـان عن معـاني القرآن**، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى (١٩٩٥م).

* **سـيبويه**،أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنْبر(ت:١٨٠هـ)، **الكتـاب كتـاب سـيبويه** بتحقيـق وشـرح عبـد السـلام محمـد هـارون، مكتبـة الخـانجي بالقـاهرة(١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م).

* **صافي محمود بن عبد الرحيم** (ت : ١٣٧٦هـ) ، **الجدول في إعراب القرآن الكريم** ، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان بيروت ، تاريخ النشر(١٤١٨هـ).

* **مهدي المخزومي، النحو العربي،** نقد وتوجيه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٩م).